الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس -المدية-
معهد اللغات وعلوم الإعلام والاتصال
قسم اللغة العربية وآدابها

الموضوع :

الشعر النسوي الأندلسي
في عصر ملوك الطوائف
ولادة بنت المستكفي أنموذجا

مذكرة تخرج
لنيل شهادة ليسانس في الأدب العربي

من إعداد الطالبتين:
جوابي سامية
شارفي غنية

تحت إشراف الأستاذة :
بلكاتب أحلام

السنة الجامعية : 2009/2008

كلمة شكر وعرفان

الحمد والثناء للعلي الكريم على منحنا القدرة والصبر ويسر لنا السبل، وهون جميع الصعاب في مسيرة إنجازنا لهذا العمل.

تقديرا وعرفانا إلى كل من لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته وتوجيهاته من أجل إتمام هذا العمل نتوجه بخالص الشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها.

كما نتوجه بالشكر والامتنان إلى من مد لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد

ونخص بالذكر :

الأستاذة : بن يحي.

السيدة : شارفي نصيرة.

الطالبة : جوابي حميدة

الطالب : زكرياء.

والحمد لله الذي بنعمته تمت الصالحات.

جوابي سامية شارفي غنية

إهداء

أهدي هذا العمل إلى من كانت ولا تزال شلالا مذرافا للحنان
إلى من قاسمتني هموم الدنيا. إلى من سهرت على تربيتي على هذا الخلق
إلى نبع الحنان وجوهرة حياتي : "والدتي الغالية"
إلى سر وجودي وسيف معركتي. إلى من بذكر اسمه أرفع رأسي
إلى من شقى وتعب في الحياة من أجل راحتي. إلى من كان عونا لي في دراستي
"أبي الغالي" حفظه الله وراعاه.
إلى أغلى وأعز أخت عرفتها في الوجود أختي العزيزة "كريمة"
إلى من برؤيتهم أنسى هموم الدنيا إخوتي الثلاث :
عبد العالي، مفتاح، عبد الحق
إلى كل أفراد عائلي الكبرى وأخص بالذكر جدي وجدتي أطال الله في عمرهما
إلى كل خالاتي وعماتي دون استثناء
إلى كل من ساعدني معنويا على إنجاز هذه المذكرة
عقيلة، حكيمة، العلجة، فايزة، حسيبة، حنان، فاطمة الزهراء، سعيدة، عائشة
سميرة، ربيعة، ربيحة، تفرح، فريدة، نسيمة، حورية، زهرة، صفية، مليكة
إلى من قاسمتني هذا العمل الغالية شارفي غنية
إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي
إليك يا من تتصفح الآن مذكرتي

جوابي سامية

إهداء

أحلى ما في الدنيا أن ينال العبد رضى الله عز وجل فنحمده
حمدا يدوم بدوام الدهر، ونصلي على رسوله وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين
أهدي ثمرة جهدي
إلى التي جعلت الجنة تحت أقدامها وحملتني في أحشائها
وربتني على الفضيلة والأخلاق
إلى الشمعة التي تذوب من أجل أن تنير دربي ولا زالت كذلك
آملة أن تكون فخورة بي الصدر الحنون "أمي"
إلى من كان درع أمان أحتمي به من نائبات الزمان وتحمل أعباء الحياة حتى لا
أحفل بالحرمان "أبي الغالي" وإخوتي الأعزاء
حمزة، عبد القادر، خالد، حسين، رشيد، عقبة
إلى أختي العزيزة نصيرة وبناتها مريم البتول وفرح
إلى بهجة البيت محمد رضا وإسحاق
إلى من قاسمني مشوار حياتي في السراء والضراء إلى ريحانة حياتي وبهجتها
حورية ومليكة
إلى من شاركتني هذا العمل صديقة الغالية سامية
إلى صديقاتي نسيمة، زهرة، فريدة، عائشة، ليندة
إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

شارفي غنية

مقدمة

I- مقدمــة

عرفت البيئة الأندلسية عدة أسماء مشهورة في مختلف ربوع وطنها، منها أسماء لأدباء مرموقين، ومنها أسماء لأديبات أندلسيات استطعن أن يسهمن في إثراء الأدب الأندلسي بألوان طريفة وموضوعات الشعرية ومقطوعات رخية جذابة من فن القصيد ومن هنا كان جهد الشاعرات واضح الأثر، وليس أدل على ذلك من أنهن فرضن وجودهن في موكب الشعر الأندلسي، وسجلن أسماءهن بأحرف من ذهب على راية الأدب النّسوي عامة.

والسؤال المطروح دائما هو :

ما مكانة الشعر النّسوي في الأندلس ؟ وكيف كانت بداياته ؟ وما هو واقعه في عصر ملوك الطوائف ؟ وهل استطاع الشعر النّسوي الأندلسي من خلال أقلامه أن يثبت وجوده في الساحة الأدبية ؟ وما السمات والخصائص التي امتاز بها ؟

إن طرحنا لهذه الإشكالية نابع من صميم موضوعنا، لهذا فإن من أهم الدوافع التي ساقتنا إلى اختيار هذا الأخير هي تميُّز الحضارة الأندلسية وعراقتها، لهذا فقد ارتأينا أن نغوص في غمارها ونكتشف خبايا آدابها لاسيما ما تعلق بالمرأة على وجه الخصوص، أضف إلى ذلك غايتنا في معرفة الخصائص التي امتاز بها الشعر النّسوي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف مقارنة بالمرأة المشرقية، وكذا محاولة معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ازدهاره.

وانطلاقا من أهدافنا المنشودة والأسئلة المطروحة التي اتخذناها متكأ لموضوع بحثنا هذا المعنون بـــ :

"الشعر النّسوي الأندلسي، عصر ملوك الطوائف : ولادة بنت المستكفي أنموذجا"

حاولنا التدرج في الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال الفصول والمباحث التي تطرقنا لها في بحثنا، وفق الخطة التي وضعناها للبحث.

حيث أننا تطرقنا في الفصل الأول إلى الأدب الأندلسي عامة مركزين على تحديد ملامحه، ثم حاولنا تتبع رحلة الشعر النّسوي انطلاقا من المشرق العربي وصولا إلى الأندلس مركزين في ذلك على تبيان خصائص كل مرحلة، وعلى أهم الأسباب المشكلة لها، لنخلص إلى العلاقة بين الشعر النّسوي المشرقي وبين الشعر النّسوي الأندلسي، ومدى التجديد الذي لحق بهذا الأخير

ثم تطرقنا في الفصل الثاني إلى دراسة تطبيقية للشعر النّسوي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف من خلال تركيزنا على نموذج استطاع أن يتخذ مكانة بارزة في الساحة الأدبية الأندلسية والعربية عامة، ألا وهو : ولادة بنت المستكفي.

فقد حاولنا تقديم نبذة حول حياتها الاجتماعية والأدبية وكذا صفاتها وأخلاقها، كما تطرقنا إلى تقديم لمحة حول عصر ولادة وما حمله من ازدهار أدبي وفكري وعلمي.

ثم تطرقنا في المبحث الأخير إلى أهم الأغراض التي عالجتها وكذا الأفكار التي حملتها.

فهل تطرقت الشاعرة لنفس الأغراض التي تطرق إليها غيرها من الشعراء والشاعرات من أبناء وبنات وطنها على مدار العصور المختلفة ؟ أم أنها جاءت بجديد مغاير، وإلى ما يعود ذلك ؟ هذه الأسئلة وغيرها حاولنا الإجابة عنها من خلال مباحث فصل بحثنا هذا.

وقد اعتمدنا في ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع التي تتحدث عن الأدب الأندلسي بشكل عام وعن الشاعرات الأندلسيات بشكل خاص، مثل كتاب : مصطفى الشكعة "الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه" وكتاب سعيد بوفلاقة "الشعر النّسوي الأندلسي" وكتاب المقري "نفح الطيب".

وبفضل المعلومات التي توفرت لدينا من خلال هذه المراجع وكذا طبيعة موضوع بحثنا فقد اعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي، في تتبع رحلة الشعر النّسوي في المشرق وفي الأندلس، وكذا رحلة ولادة بنت المستكفي الأدبية، أما في تحديد الخصائص الأدب النّسوي الأندلسي وتحليل بعض النماذج فكان المنهج الوصفي هو الأنسب لها.

كما يمكننا القول إننا قد استعنا بالمنهج المقارن خاصة عندما بينا امتداد جذور الشعر الأندلسي إلى الشعر المشرقي وهذا من خلال المقارنة بينهما واستخلاص مظاهر

التقليد والتجديد فيما يخص الشعر النّسوي الأندلسي ونفس الشيء عندما حاولنا تبيان السمات المميزة لشعر ولادة بالنظر إلى شعر بنات وأبناء زمانها.

كما لا ننس أن نذكر بأنه ومن خلال إنجازنا لبحثنا وتقديمه في حلته هذه قد واجهتنا بعض الصعوبات والعراقيل التي كانت سببا في خلق نوع من التوتر والصعوبة في جمعنا لمادة البحث وهي :

- قلة المصادر والمراجع التي تتناول موضوع بحثنا هذا.
- صعوبة التوفيق بين الدراسة والبحث وذلك نظرا لكثافة المقرر الدراسي وكذا مجموعة البحوث التي كلفنا بإنجازها في معظم المقاييس.

لكن عموما فقد استطعنا التكيف مع هذه الأوضاع وجمع المادة العلمية اللازمة التي تمكننا من مواصلة بحثنا وإخراجه في صورته هذه.

وفي الأخير يمكننا القول أن موضوعنا موضوع هام، شكّل اهتمام العديد من النقاد في الساحة الأدبية، ونحن بدورنا حاولنا الإلمام ولو بقدر يسير من جوانب الموضوع وإعطاء فكرة عن واقع الشعر النّسوي في عصر ملوك الطوائف ولعل الفضل الأكبر في ذلك يعود إلى أستاذتنا المشرفة "بلكاتب أحلام" خاصة في توجيهاتها المتواصلة والمستمرة لنا من الناحية العلمية والمنهجية على وجه الخصوص. ولهذا فلا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر والامتنان لها وكذا العرفان بالمجهودات المقدمة من طرفها.

الفصل الأول

II- المرأة العربية وإبداعها الشعري

II-1- الشعرا لنسوي

II-2- المرأة العربية وشعرها عبر العصور

تمهيد :

كان ابن داوود يقول : ليس أحد من العرب إلا وهو يقدر على قول الشعر، طبع ركب فيهم، قلّ قوله أو أكثر، فإن صدق هذا على رجالهم، صدق على نسائهم، إذ الطبع واحد، واللغة متفقة والغزيرة لا تختلف، وإنما يتفاوت الجنسان في فنون القول نفسه.

يبدو من خلال القول أن الإبداع عامة والشعر خاصة لم يكن حكرا على الرجال، والمتتبع لكتب التاريخ يصدق هذا القول، فلقد أفادتنا كتب التاريخ بأسماء لشاعرات نظمن في أغراض متعددة، غير أن الإشكالية التي تطرح في هذا المقام هو ماذا نسمي الإبداع الذي يصدر عن المرأة ؟ وهل هناك فرق بين شعريهما ؟

وإذا كانت المرأة المشرقية قد مارست نشاطها منذ أن كان للعرب وجود أدبي، فإن المرأة الأندلسية قد كان لها ذلك هي الأخرى، وهذا ما يعزنا إلى التساؤل عن السمات المميزة لشعر كل منهما. وعن مدى التغيير الذي استطاعت المرأة الأندلسية أن تحرزه وإلى ما يعود ذلك ؟

II-1- الشعر النسوي

II-1-1- مفهوم الأدب النسوي :

نقصد بالأدب النسوي ذلك الأدب الذي تنتجه المرأة، ولاتصاله بها أصبح يسمى أدبا نسويا. لكن مع هذا يبقى مصطلح الأدب النسوي موضع شك ولبس، لذلك نجده يتأرجح بين مؤيد ومعارض.

فهناك من يرفض ويعارض هذا المصطلح ومنهم "دلال حاتم" حيث تقول :

"ليس هناك أدب نسائي وآخر رجالي، بل هناك أدب وموهبة مع اعتراف أن هناك مواقف وقصص تكون فيها الكاتبة أقدر على سبر أغوار المرأة لكونها امرأة، كما أن الرجل يكون قادرا على تصنيف حالات وضع الرجل أكثر من المرأة، على الرغم من وجود نماذج من أدباء استطاعوا الدخول إلى العوالم الأخرى مثل الكاتب يوسف إدريس الذي كان بارعا في وصف المرأة لكونه طبيبا، وعلاقته مع النساء جيدة، فنجح في سبر أغوار المرأة"[1].

يبدو من خلال قولها أنها تعترف بخصوصيات أدب المرأة لكنها ترفض تسميته بهذا المصطلح.

---

[1] أمينة عباس : بعضهن يرفض الأدب النسائي،
http://www.diwanalarab.com/spid.php?article3816
Date de connexion : 22/11/2008 à 10:30m

وفي مقابل هذا نجد "هيفاء بيطار" تؤيد مصطلح الأدب النسوي وتعترف هي الأخرى بخصوصية أدب المرأة حيث تقول : "أنا امرأة عبّرت (امرأة من طابقين) عن مشاعر شديدة الخصوصية لا تستطيع أن تشعر بها إلا الأم، ولا يمكن للرجل مهما كان قادرا التعبير عنها بصدق"[1]. ولكنها في نفس الوقت ترفض هذا المصطلح إن كان يحط ويقلّل من قيمة المرأة.

من جهة أخرى هناك من يعارض وجود أدب نسوي في العصور القديمة وحجتهم في ذلك أن : "كانت المرأة تتقمص شخصية الرجل في أدبها وإن لم تفعل ذلك فهي تصور المرأة كما هي في عين الرجال، ولا تتجرأ على التعبير عن صورتها كما تراها" [2]. ومثال ذلك هذه الأبيات للخنساء حيث تقول[3] :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ وَقَدْ فَزِعَتْ   خَيْلٌ لِخَيْلٍ وَأَقْرَانٌ لأقرانِ

سَمَحٌ إذا يَسَرَ الأَقْوَامُ أَقْدَحَهَمْ   طَلْقُ اليَدَين وهو رَبٌّ غَيْرُ مَنَّانِ

حُلاَحِلَ مَاجِدٌ مَحْضٌ ضَرِيبَتَهُ   مِجْذَامَةٌ بِهَوَاه غَيْرُ مِبْطَانِ

سَمَحٌ سَجِيَّتَهُ جَزِلٌ عَطِيَّتَهُ   ولِلأَمَانَةِ رَاعٍ غَيرُ خَوَّانِ

يقول "ثائر العذاري" أنه لا يمكن عدّ هذه الأبيات من أدب المرأة لأن الصفات التي ترد في هذه الأبيات هي "صفات كلاسيكية يتمناها كل رجل في نفسه، وليس فيها ما يعبّر صدقا عن

---

[1] الموقع السابق.

[2] ثائر العذارى ، ملخص لبحث أكاديمي حول مفهوم الأدب النسوي.

http : www.alnoor.se/article.asp?ID:8772. 24/11/2008.17.00H

[3] الموقع نفسه.

صورة المرثي كما تراها المرأة"[1]. فهذا المصطلح لا يدل على كل النصوص الأدبية التي تكتبها المرأة.

لكنهم مع هذا يؤيدون ويؤكدون ظهور أدب في السنوات الأخيرة لا يمكن أن نطلق عليه اسم الأدب النسوي، وحجتهم في ذلك أن المرأة أصبحت تعالج مواضيع كانت تحرم عليها الخوض فيها مثل العنف ضد المرأة، بالإضافة إلى عدم تجرُّئِها على معالجة شؤون أكثر حساسية مثل الخيانة الزوجية والمشاعر الخفية للمرأة ... الخ. فالأدب النسوي عندهم هو الذي يعالج قضايا المرأة.

يبدو من خلال هذه الآراء والأقوال اعتراف بإبداعية المرأة. لكن تبقى إشكالية تسمية هذا الإبداع بهذا المصطلح (الأدب النسوي).

أما عن رأينا في هذا المصطلح فنحن نتفق وقول الأساتذة "يمنى العيد" حيث تقول : "أميل إلى الاعتقاد بأن مصطلح الأدب النسائي يفيد معنى الاهتمام وإعادة الاعتبار إلى نتاج المرأة العربية الأدبي وليس عن مفهوم ثنائي أنثوي – ذكوري يضع هذا النتاج في علاقة اختلاف ضدي– تناقض مع نتاج الرّجل الأدبي"[2].

---

[1] الموقع السابق.

[2] الموقع نفسه.

II-1-2- بين شعر الرجال وشعر النساء :

ما دام موضع بحثنا الشعر النسوي، فقد يتبادر إلى الذهن عدة أسئلة منها : هل هناك فرق بين شعر الرجال وشعر المرأة ؟ وفيما يتمثل هذا الفرق ؟

من الملاحظ أن طبيعة المرأة الأنثوية تختلف عن طبيعة الرجل، وذلك من خلال الفوارق الناتجة عن الفوارق الجنسية والجسمية بينهما، وهذا ما يؤدي إلى اختلاف في التصورات والنظرات للحياة من قبل كل منهما، وكأن لكل منهما عالمه الخاص به.

إذا كانت للمرأة تصوراتها الخاصة للحياة، فإن هذا يفرض ويقتضي وجود ميزات تميزها في إبداعها أي أدبها. وهذا لا يعني انفصال أدبها عن أدب الرجل بقدر ما نقصد به وجود فرق محسوس بين أدبيهما وذلك من خلال خصائص كل منهما. وهذا ما ذهب إليه "سعيد بوفلاقة" في كتابه الشعر النسوي الأندلسي. فهو يرى أنه "فنا قوليا آداته الكلمة". فإن فنيته ترتبط بالوجدان والعاطفة ولا سيما الشعر، ولهذا نجد المرأة عكفت على فن الرثاء لأنه مرتبط بالإحساس والعاطفة، فأجادت وتفوقت على الرجل في الموضوعات الحسية وبخاصة الرثاء [1] وفي هذا يقول "محمد زغلول سلام "فالنساء أحذق وأعرف بالرثاء من سائر الأنواع الشعرية لأنه أشجى قلوبا وأرق أفئدة وأقل صبرا كتفجع الخنساء في أخيها صخر" [2]، ولهذا جاء شعرها بسيطا عفويا

---

[1] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1995، (د.ط)، ص : 24.

[2] نجم الدين أحمد بن إسماعيل، جوهر الكنز، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت)، (د.ط)، ص : 230.

يتصل بالقلوب مباشرة دون أن يحتاج إلى صنعة أو غير ذلك مما يلجأ إليه عقل الرجل المفكر المنظم ولكن في مقابل هذا نجد الرجل تفوق وأجاد في الأمور العقلية والفكرية كالمدح والهجاء ... الخ وهذا ما سنوضحه في المباحث اللاحقة.

II-1-3- ثنائية قلة وكثرة الشاعرات :

إذا تصفحنا تاريخ الأدب العربي وجدناه حافلا بأسماء شاعرات كان لهن الفضل في إكمال لوحة شعرنا العربي القديم، لكن مع هذا نجد معظم الدراسات الأدبية قد أجحفت في رصدهن وإفراد شعرهن بدرس أدبي مكتمل متأن وطويل ولعل السبب الذي احتكم إليه الدارسون هو أن شعرهن قليل، لذلك لا تتجاوز دراسة أشعارهن مجرد إشارة ضمن بعض الدراسات الأدبية العامة لكن مع هذا نجد مصطفى صادق الرافعي في كتابة "تاريخ آداب العرب" أورد لنا ثنائية قلة – كثرة الشاعرات.

فقد أرجع قلة الشاعرات إلى عدة أسباب نذكر منها :

1- يرى بأن الشعوب تقول الشعر عن عادة وطبيعة سواء كانوا رجال أو نساء غير أن الشاعر الذي يثبت وينفرد هو من كان فوق العادة والطبيعة أو ما احتاجوا أن يعتبروه كذلك.

وهذه القوة نجدها عند الرجال على خلاف النساء "فما عرفت قط شاعرة أخملت شعراء دهرها"[1].

2- المرأة العربية لطالما كانت جزء من تاريخ السيوف أو دافعا للحروب الدامية التي تؤثر في مصير القوم على نحو ما نعرفه عن قصة حرب البسوس التي دامت أربعين عاما، ولهذا نجد المرأة بعيدة عن القول بقدر قربها من العمل.

3- الشاعر قديما هو لسان قبيلته السياسي يذود عنها في الحروب ويفاخر بها لذلك فهم يسمون الشعراء أظفار العشيرة، بالإضافة إلى هجائهم اللاذع الذي يكون بمثابة سيوف تقطع دابر الأعداء، وهذا ما لا تستطيع أن تفعله المرأة فهي : "لا تحسن أن تمضغ لحوم الأعداء في هجائها"[2]، وكيف لها أن تكون كذلك وهي السبب في وقوع الخصومة بين القبائل.

4- بالإضافة إلى الأسباب السابقة فإن اسم شاعرة لا يطلق على كل من تقول الشعر بل الشاعرة عندهم هي التي "تتخطى حدود الحجاب الطبيعي وتكثر القول وتتصرف في فنونه ومعانيه بما يتعدد من حوادثها ومصائبها"[3].

هذه بعض الأسباب التي جعلت عدد النساء الشاعرات يقل، لكن مع هذا نجد بعض الروايات تورد أقوالا وتدل دلالة واضحة على كثرة عدد الشاعرات مثل قول أبي نواس :

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت)، (د.ط)، ج 3، ص65.

[2] المرجع نفسه، ص : 66.

[3] المرجع نفسه، ص : 67.

"ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهم الخنساء"[1]. وقول أبي تمام : لم أنظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة [2] – لم ينته إلينا ولا ديوان واحد إلا المقطوعات التي جمعت للخنساء[3].

وإذا أخذنا بهذين الرأيين الأخيرين يمكن أن نطرح السؤال التالي :

ما هو سبب إهمال المرأة العربية الشاعرة ؟ وما هو سبب ضياع شعرهن بالخصوص ؟

عزى الدارسون إهمال المرأة العربية الشاعرة وضياع أكثر شعرها إلى أسباب اجتماعية قاهرة تحكمت فيها، وكذلك إلى أسباب تاريخية منها :

1 – إن حركة الجمع والتدوين في العهد العباسي "قد نشطت على أيدي رجال عاشوا بعقلية مجتمع وأد المرأة معنويا، وعزلها عن الحياة العامة"[4] ومن ثم لم يكن لها في تصورهم أن تتحدث عن عواطفها ولذا حصروا مجالها الفني في الرثاء.

2 – التعصب من قبل الرجال وعدم اعترافهم بشاعرية المرأة، حيث ضربوا الحجاب عليهن إذ كان شعرهن تطرفا[5].

---

[1] المرجع السابق، ص 73.

[2] المرجع نفسه، ص 73.

[3] المرجع نفسه، ص 73.

[4] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 23.

[5] مصطفى صادق الرافعي، مرجع السابق، ص 73.

3 -جمع بعض الرواة والعلماء أشياء من شعر النساء كالكتاب الذي جمعه أبو عبد الرحمان العتبي الشاعر البصري المتوفي سنة 228 هـ، وأشعار النساء للمرزوباني ... الخ، غير أن هذه الكتب ضاعت مع ما ضاع من التراث العربي.

II-2- المرأة العربية وشعرها عبر العصور

II-2-1- المرأة المشرقية وشعرها عبر العصور

قد يتسع مجال القول إذا توغلنا في عالم المرأة العربية بوجه عام، غير أنه وفي مقامنا هذا ارتأينا تسليط الضوء على المرأة المشرقية وشعرها على مدار عصور الأدب المختلفة.

أ- العصر الجاهلي :

استطاعت المرأة أن تثبت دورها ومكانتها من خلال منتديات القوم ومحافل الجمع من ناحية، وعلى تقبل إصدار الحكم لها أو عليها بين الشعراء الرجال من ناحية أخرى. وبالتالي فقد ساهمت في إثراء الحركة الأدبية عامة و الشعرية خاصة.

وقد تناولت المرأة موضوعات الشعر المعروفة في تلك الحقبة من مدح و رثاء و فخر وهجاء وحماسة ... وغيرها من الأغراض، إلا أن أهم الموضوعات الشعرية التي نظمت فيها المرأة الجاهلية هو غرض الرثاء. وهو أمر تعكسه طبيعة المرأة الباكية التي شاء قدرها أن تبكي كل من حولها من ذوي القربى لتنظم فيهم من مرثياتها.

والرثاء أيضا كما يقول د. محمد بدر معبدي "المجال الفسيح الذي تنطق فيه عواطف المرأة لأنه نوع من النواح والبكاء، وسلاح المرأة دائما دموعها، وأول شيء تلجأ إليه إذا حز بها أمر أو ألمّ بها مكروه ..."[1]. ومن ناحية أخرى فإننا نجد أن انحصار شهرة المرأة في حدود

---

[1] محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، مكتبة الآداب، مصر، (د.ت)، (د.ط)، ص : 11.

الرثاء هو: "أن المؤرخين سيطرت عليهم فكرة خاطئة صورت لهم أن الشاعرة العربية لا تحسن غير الرثاء، أما غير الرثاء فلا اهتمام به. وكأن المرأة لم تقل إلا في الرثاء"[1].

وفي إطار هذا الفهم يمكن أن نورد أسماء كثيرة لشاعرات في العصر الجاهلي، وإن كان ما وصلنا من شعرهن القليل، كما سبق وأن ذكرنا.

فنجد الخنساء التي كانت أرثى العرب وأغزرهن شعرا، تبكي كلا من أبيها عمر بن الرشيد وأخويها صخر ومعاوية تقول[2] :

أبْكي أَبــي عَمْرًا بعــيْنِ غَزِيــرَة   قليل إذا نامَ الخَــلَى هــُجُودُهَا
وصــنْوى لا أَنْــسَى مُعَاويَةَ الَّــذي   لَهُ مِنْ سُــرَاةِ الحُرَّتَيْنِ وُفُودُها
وصخْرًا ومَنْ ذا مَثل صخر إذا غَدا   بســاهَمَةِ الآطَال قــَبَّ يَقُودها
فَذَلِكَ ياهِنْدُ الرزِيَـــةُ فاعْلَمِـــي   ونيرانُ حربٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا

وكذلك "عكرمة بنت ضلع"، التي كانت تنشد الأراجيز لتحض الرجال وتحمسهم على الحرب ومن شعرها هذه الأرجوزة المشهورة تقول[3] :

---

[1] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 22-23.

[2] مي يوسف خليفة، الشعر النسائي في أدبنا القديم، مكتبة غريب، كلية الآداب، جامعة القاهرة، (د.ت)، (د.ط)، ص 22.

[3] عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شاعرات العرب، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2001، (د.ط)، ج 1، ص:492.

نحنُ بنَاتُ طَــارِقْ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ
مَشْيَ القَطِيِّ البَارِقْ المِسك فِي المَفارقْ
والدُّرُ في المَخَانِقْ إنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ
أو تُدْبِروا نُفَارِق فِرَاقَ غير وَامِقْ
عِرْسُ المولي طَالِقْ والعَارُ فيه لاحقْ

وكذلك ليلى بنت لكيز الملقبة بالعفيفة التي تقول[1] :

غَلِّلُــــونِي قَيِّــدُونِي ضَــرَبُوا مَلْمَــسَ العِــفَّةِ مِنِّــي بالعَــصَا

بالإضافة إلى عدد آخر من الشاعرات لم يتسع المجال لذكرهن والإلمام بشعرهن.

ب- صدر الإسلام والعصر الأموي :

لقد حفظت لنا الكتب أسماء شاعرات من قريش ومن بيت النبوة ومنهن: "عائشة بنت أبي بكر" و"عقيلة بن عقيل بن أبي طالب" و"سكينة بنت الحسين" وغيرهن.

ولعل أهم غرض شعري تداولوه في هذه الفتر ة –على قلته– هو غرض الرثاء، أي رثاء الأقارب أو رثاء من قتلوا من الصحابة في الغزوات كما ظهرت بعض القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والإشادة بشجاعة المسلمين، وبالتالي فالشعر في صدر الإسلام لم

---

[1] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 16.

يتغير جذريا. ومن أشكال الرثاء في هذه الحقبة نجد رثاء "الرباب" لزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب حين قتل، تقول[1] :

إنَّ الذي كانَ نُورًا يُستَضَاءُ بِهِ بِكَربَلاَءِ قَتيلٌ غَيْرَ مَدْفُونِ
سِبْطُ النَّبِيِّ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً عَنَّا وجَنَّبْتَ خُسْرَانَ المَوَازِينِ
قَدْ كُنْتَ لِي جَبَلاً صَعْبًا أَلُوذُ بِهِ وكُنْتَ تَصْحَبُنَا بالرُّحْمِ وَالدِّينِ
مَنْ لليَتَامَى ومَنْ للسَّائِلِينَ ومَنْ يُعْفِى ويَأْوِي إليه كُلُّ مِسْكِينِ
والله لاَ أبْتَغِي صِهْرًا بِصِهْرِكُمُ حَتَّى أُغَيَّبَ بين الرّملِ والطِّينِ

كما نجد "عاتكة بنت نفيل" التي رثت أزواجها الأربع من الصحابة رضوان الله عليهم، فقد رثت زوجها الأول "عبد الله بن أبي بكر الصديق" رضي الله عنه وكان قد شهد الطائف فرمى بسهم "محجن الثقفي" فمات سنة 11هـ تقول[2] :

فلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتًى أَكَرُ وَأَحْمَى فِي الهِيَاجِ وَأَصْبَرَا
إِذَا شَرَعَتِ الأَسِنَّةُ خَاضَهَا إلى المَوتِ حتى يُدْرِكَ المَوتَ أَحْمَرَا
فَآلَيْتَ تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِيَّةً عَلَيْكَ ولاَ يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا
مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةٌ ومَا طَرِدُ اللَّيلِ النَهارَ المُنَوَّرَا

---

[1] المرجع السابق، ص : 19.
[2] مي يوسف خليفة، مرجع سابق، ص : 94.

فهي تصور لنا في هذه المقطوعة كم من الدموع تذرفها إزاء الحدث الجلل الذي أصابها.

كما رثت زوجها الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته تقول[1] :

عَيْنُ جُــــودِي بِعَبْرَةٍ ونَحِيبٍ   لا تَمَلي على الإمَامِ النَّجيبِ

فَجَعتنا المَنونُ بالفَارسِ المُعَــ   لِمِ يَوْمَ الهِيَاجِ والتَلْبِيــــــبِ

عِصْمَةُ اللهِ والمُعِينُ عَلَى الدَّهْــ   رِ غِيَاثُ المُنْتَابَ وَالمَحْرُوبَ

قُلْ لأهلِ الضَرَّاء والبُؤسِ مُوتُوا   قَدْ سَقَتْهُ المَنُونُ كَأس شَعُوبِ

فهي تبكي زوجها وتكرر الحديث عن الموت، وتصور حجم الفجيعة.

كما رثت زوجها الزبير بن العوام تقول[2] :

غَدَر ابنُ جُرْمُوزَ بفارسِ بَهْمَةً   يَوْمَ اللِّقَاءِ وكان غَيرُ مُعْرَدٍ

يَا عَمْــــرُ ولَوْ نَبَهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ   لاَ طَائِشًا رَعْشَ الفُؤَادِ ولاَ اليَدِ

شُلَّت يَمِينُكَ أَنْ قَتَلْتَ مُسْلِمًا   حَلَّت عَلَيــه عُقُوبَة المُتَــعَمدِ

إنَّ الزبيرَ لذُو بَلاءٍ صَادِقٍ   سَمَــحَ سَجيّتهُ كَرِيمُ المُحْتَدِ

كمْ غَمرةٍ قَد خَاضَهَا لَم يُثْنِهِ   عنها طرادك يا ابن فقع القردد

فاذهبْ فَمَا ظَفَرَتْ يَدَاك بِمِثْلِهِ   فِيمَا مَضَى مِمَّنْ يَرُوحُ ويُغْتَدَى

---

[1] المرجع السابق، ص : 95.

[2] المرجع نفسه، ص : 96.

وتقول في رثاء الحسين رضي الله عنه[1] :

حُسَينَا فَلاَ عَدِمْتَ حُسَيْنًا أَقْصَدَتَهُ أَسِنَّةَ الأعْداءِ

غَادَرَتْهُ بِكرْ بَلاءِ صَرِيعًا جَادَتْ المُزْنَ فِي ذُرَى كَربَلاَءِ

في هذه المقطوعات الأربع السابقة تبدو شاعرية المرأة وهي تصور لنا انهيارها النفسي أمام أزواجها الأربعة من الصحابة رضوان الله عليهم، وجميعهم قتلوا، ولا شك أن هذا كله يحتاج من المرأة طاقة نفسية خارقة لتتحمل أعباء المواقف الأربعة متحملة صابرة.

أما في العصر الأموي فقد بدأت أغراض أخرى تظهر جليا كالفخر والهجاء والغزل فنجد "الدحداحة الفقيمية" وهي من شاعرات العصر الأموي التي هجت "الفرزدق" حين هجا فقيها من قومها فقالت[2] :

فَبْشَلَةٌ هَدْلاَءُ ذَاتُ شَعْشَقِ مُشْرِقَةُ اليَانُوخِ والمُحَوَّقِ

قَهْبَلَبْسُ ذاتُ حِفَافٍ أَذْلق مَحْبُوكَة ذات شَبٍّ مُدْلَقِ

كما نجد "ميسون بنت بحدل"، وقد اشتهرت بأبياتها التي قالتها في خيمتها البدوية على القصر المنيف الذي أسكنها فيه زوجها "معاوية بن أبي سفيان" ومنها[3].

---

[1] المرجع السابق، ص : 96.

[2] المرجع نفسه، ص : 20.

[3] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 20.

لَبَيْتٌ تَخْفَقُ الأرواحُ فيــهِ   أَحَــب إليَّ من قَصرْ مُنيَفِ
ولُبْــسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي   أَحَبُّ إِلَيَّ مِن لِبْسِ الشُّفُوفِ*
فَمَا أبْغِي سِوَى وطني بديلاً   فَحَسْبِي ذَاكَ مِنْ وَطَنٍ شَرِيفٍ

هذا بالإضافة إلى عدد من الشاعرات الأخريات اللائي اشتهرن في هذا العصر، أمثال "ليلى الأخيلية " حين تقول في رثاء زوجها "توبة بن الحمير"[1] :

لَعَمرُك ما بالموتِ عارعلى الفَتى   إذا لم تُصِبْهُ في الحياةِ المَعَايرُ
ومَا أحَـــــدٌ حتى وإن كانَ سالمًا   بأجلدِ مِمّـَنْ غيَّبـــتهُ المقابـــرُ
ومَنْ كانَ مِمَّا يُحدِثُ الدَّهْرُ جَازِعًا   فَلاَ بُدَّ يَوْمًا أنْ يرَى و هُو صَابرُ
وليسَ لذِي عَيْشٍ من المَوْتِ مَهْرَبٌ   وليْسَ عَلى الأيامِ والدَّهْرُ غَابِرُ
وكُــــلُّ جديدٍ أو لِشبابٍ إلى بَلَى   وكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا إلى اللهِ صَائِرُ
وكُــلُّ قَرِينِــي أُلْفــَةٌ لِــتَــفَرُّقٍ   شَتَاتًا وإنْ عَاشَا وَطَالَ التَعَاشُرُ
فلا يبعدنـــكِ اللهُ يَا تــوب هالـــكًا   أخا الحرب إذ دارت عليك الدوائر
فَأُقْسِـــمُ لاَ أَنْفــكَّ أَبْكِيــكَ مَا دَعَتْ   علَـــى فِنَنٍ وَرْقَاءُ أَوْ طَارَ طَائِرُ
قَتِــيلُ بَـــنِي عَـــوْفٍ فَيَا لَهْفَتِي لَهُ   ومَا كُـــنْتُ إِيَّـــاهُمْ عَلَيـــهِ، أُحَاذِرُ

---

* الشقوف : جمع شقف بكسر الشين وفتحها، وهو الثوب الرقيق سمي بذلك لأنه يستشف ما وراءه.

[1] مي يوسف خليفة، مرجع سابق، ص : 100.

فالشاعرة في هذه القصيدة تحول العاطفة إلى الرؤية الفلسفة الموت وهي قضية حتمية لا مناص منها، وعليها تقبلها والعيش في ظلها.

ج- العصر العباسي

«يكاد ينحصر شعر المرأة في الغزل، وأكثره مما وضعته الجواري للغناء»[1].

فنجد "عليه بنت المهدي"، التي كانت ذات جمال وغناء وشعر، وكانت تحضر مجالس اللهو والطرب وشرب النبيذ، وقيل أنها أحبت خادما للرشيد يدعى "طل" فكانت مفتونة به رغم الحوائل الاجتماعية وقد كانت تراسله بالأشعار التي تفيض عاطفة صريحة، كتبت يوما وقد احتجب عنها، فذهبت إليه زائرة تقول[2] :

قَدْ كَانَ مَا كَلَّفْتُهُ زَمَنًا يَا طَلُّ مَنْ وِجْدِ بِكُمْ يَكْفِي

حَتَّى أَتَيْتُكَ زَائِرًا عَجِلاً أَمْشِي عَلَى حَتْفٍ إلى حَتْفِي

وكذلك نجد "خزامي" جارية الضبط وهي شاعرة ومغنية كانت تنادم "عبد الله بن المعتز فراسلها" مرارا فتأخرت عنه فكتب إليها يقول[3] :

---

[1] سعيد بوقلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع السابق ، ص : 20.

[2] المرجع نفسه، ص : 21.

[3] عبد الحكيم الوائلي، مرجع السابق، ص : 169.

رأيتُكِ قَد أَظْهَرتِ زُهْدا وتَوْبَةً فَقَد سَمَحَتْ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِكِ الخَمْرُ

فَأَدَّيْتُ وِرْدًا كَيْ يَذْكُرَ عِيشَةً لِمَنْ لَمْ يُمْتِعْنَا بِبهجتها الدَّهْرُ

فأجابت تقول[1] :

أَتَانِي قريض يا أميري مِخْبَرُ حكَى لِي نَظمُ الدَّرِ فَضْلُ بالشَّذَرِ
أأكرمتَ يا ابنَ الأكرمينَ إِنَابَتِي وقدْ أَفْصَحَتْ لِي أَلسُنُ الدَّهْرِ بالزَّجْرِ

وفي الأخير يمكن أن نقول أن المرأة المشرقية أجادت في قول الشعر رغم قلته أو بالأحرى ما وصلنا منه القليل، فتطرقت إلى أغراض متعددة، غير أن هذه الأغراض تجلت بشكل أوضح عبر عصور الأدب المختلفة وذلك بحسب طبيعة المجتمع العربي، فاشتهرت بالرثاء في العصر الجاهلي وحتى في صدر الإسلام، ثم بدأت أغراض أخرى تتجلى كالغزل والهجاء والفخر في العصر الأموي والعباسي.

II-2-2- المرأة الأندلسية وشعرها عبر العصور :

إذا ما تركنا المرأة المشرقية وشعرها عبر العصور وانتقلنا إلى المرأة الأندلسية باعتبارها محور بحثنا وجدناها هي الأخرى قد حظيت بمكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي.

فقد تمتعت بقسط كبير من الحرية والنفوذ، وهذا ما أقره عدد من المستشرقين. ومن بين هؤلاء المستشرق البارون "فون شاك" في كتابه "شعر العرب وفنهم في اسبانيا وصقلية" حيث

---

[1] المرجع نفسه، ص : 169.

يقول: « إن وضع المرأة في اسبانيا كان أكثر تحررا عما كان عليه في بقعة الشعوب الإسلامية الأخرى، فأسهمت بجهدها في كل ألوان الثقافة المعروفة على أيامها، وليس بقليل عدد أولئك اللائي بلغن شهرة واسعة لدورهن في مجال العلم أو مزاحمتهن الرجال في قرض الشعر، وفي ظل هذه الحضارة الراقية بلغن في اسبانيا احتراما لم تعرفه المرأة أبدا في المشرق الإسلامي»[1].

من خلال القول يبدو أن المرأة الأندلسية كانت أكثر حظا من المرأة المشرقية من حيث وضعيتها في المجتمع الأندلسي.

لقد أرجع الدارسون تلك الحرية والنفوذ إلى سببين رئيسين هما :

1-"احتكاك المرأة هناك بالشعوب الأوربية التي أثّرت في ذلك المجتمع العربي الناشئ ببعض خصائصها"[2]. وذلك عندما قويت الصلات بين العرب ونصارى الأندلس بحكم المصاهرة أو المجاورة أو التحالف أو غير ذلك. ومن أمثلة ذلك "سارة القوطية" وهي ابنة" بن غيطشة" التي تزوجت من "الفاتح عيسى بن مزاحم" وبعد وفاته في (138 هـ/ 755 م) تزوجت من "عمير بن سعيد" وقد ولدت له سارة ولدا اسمه "حبيب"، ينسب إليه على الأقل أربعة فروع هم: بنو حجاج، وبنو مسلمة، وبنو سعيد ، وبنو حرز، وهذا ما يدل على تشكل عناصر أندلسية جديدة.

---

[1] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 26- 27 .

[2] المرجع نفسه، ص : 26.

2- اختلاط العرب في المجتمع الأندلسي بالبربر [1]، وكانت للمرأة في مجتمعاتهم مكانة تختلف مكانتها في المجتمع العربي حيث "اتخذ الحاميون الأم رأس الأسرة فكان أفراد الأسرة ينسبون إليها وليس إلى الأب"[2].

ومن مظاهر الحرية والنفوذ التي حظيت بها المرأة الأندلسية هي: تعليم المرأة بات أمرا مألوفا، حيث أصبحت تلتحق الفتاة بالمدارس الأولية منذ الصغر وتواصل دراستها في التعليم العالي مثلها مثل الصبيان "حتى إنها كانت تحصل على نفس الإجازات التي يحصل عليها الرجل"[3]، فمنهم من درس الفقه وعلوم الدين وأخريات يدرس مواد أخرى، ولم يقف نشاطهن عند حد الدراسة في اسبانيا فحسب بل واصلوا تعليمهن حتى خارج الأندلس ومثال ذلك "خديجة بنت أبي محمد عبد الله الشنتجيالي" التي ذهبت مع أبيها إلى المشرق وحضرت معه نفس الدروس التي حضرها في مكة، وكذلك "فاطمة بنت سعد الخير بن محمد" التي رافقت والدها أيضا إلى المشرق وحضرت دروس كبار علمائه [4]. وأمثالهن كثيرات فابن حزم صاحب طوق الحمامة يقول : "لقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت

---

[1] المرجع السابق، ص : 26.

[2] المرجع نفسه، ص : 27.

[3] المرجع نفسه، ص : 27.

[4] المرجع نفسه، ص : 27.

في حجورهن، ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب ... وهن علمنني القرآن، وروينني كثيرا من الأشعار ودربنني في الخط"[1].

حتى أن بعض الأمراء والأعيان يعيّنون معلمات لبناتهن يعلمنهن الفقه وعلوم الدين والثقافة الأدبية، فالشاعرتين "مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري" و"حفصة بنت الحاج الركونية" كانتا معلمتين لبنات المنصور سلطان الموحدين.

كما كان للمرأة الأندلسية نفوذ سياسي أيام الحكم الإسلامي في الأندلس ومثال ذلك ما كان للأميرة "صبح". أم المؤيد من النفوذ فقد استطاعت أن تتدخل في شؤون الدولة رغم زوجها "الحكم"، وعينت وصية على ابنها هشام عندما بويع بالخلافة وكان عمره عشر سنوات فزادها ذلك شأنا.

إذ يمكن أن نقول أن المرأة برزت في المجتمع الأندلسي، فكانت أستاذة وفقيهة وشاعرة وخطاطة وموسيقية وعالمة وراوية للحديث ونحوية وعروضية.

أما عن الميدان الشعري للمرأة، فقد حظيت البيئة الأندلسية بعدد كثير من الشاعرات "ولعل كثرة عدد الشاعرات الأندلسيات بالقياس إلى عددهن في المشرق يعطي صورة بأن نصيب المرأة الأندلسية من العلم والمعرفة والتحرك كان أكثر من نصيب أختها في المشرق

---

[1] محمد مصطفى أبو شوارب، أبحاث مؤتمر التراث الأندلسي، الشخصية والأثر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر (د، ت)، (د، ط)، ص : 157.

العربي"[1] لذا فإن المتصفح لتاريخ الأندلس عبر عصوره المختلفة يجد أسماء كثيرات كان لهن الفضل في إثراء الأدب الأندلسي.

أ- في العصر الأموي (138هـ-422 هـ/755 م - 1030 م) :

عرفت هذه الفترة عددا من الشاعرات، غير أن ذكرهن جميعا مع أشعارهن يعد أمرا مستحيلا، خاصة في هذا المقام، لكن مع ذلك يمكن ذكر أسماء لشاعرات اشتهرن في الأندلس أمثال: حسانة التّيمة، قمر، عائشة، أنس القلوب، العجفاء، حفصة بنت حمدون الحجازية، ... وغيرهن. لكن يمكن أن نقول عن شاعرات هذه الفترة أنهن اشتهرن بالحسب والجلالة لمحافظتهن على المعاني العربية"[2].

فهذه "عائشة بنت أحمد القرطبية" "لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحة"[3]. كما قيل "إنها من عجائب زمانها وغرائب أوانها" [4]. فقد دخلت ذات يوم على المظفر ابن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ولد فارتجلت تقول[5] :

أراكَ اللهُ فـــيه مَا تُـــريدُ ولاَ بَرِحْتَ مَعَالِيهِ تَزِيدُ
فقدْ دَلَّتْ مَخَايِلُهُ عـــلى مَا تُؤَمِّله وطَالِعُهُ السَّعــِيدُ
تَشَوَّقَتِ الجِياد له وهَزَّ الــ حُسامُ هوىً وأَشْرَقَتِ البُنُودُ

---

[1] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 27.

[2] المقري، نفح الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د، ت)، ط 1، ج6، ص : 64.

[3] و[4] المرجع نفسه، ص : 64.

[5] المرجع نفسه، ص : 64.

وَكَيْفَ يَخِيبُ شِبْلٌ قَدْ نَمَتْهُ   إِلَى العُلْيَا كَواكبهُ الجنودُ
فَسَوْفَ تَرَاهُ بَدْرًا فِي سَماءٍ   من العليا كواكبه الجنود.
فأنتم، آل عَامِرَ، خيرَ آلٍ   زَكَا الأَبْنَاءُ مِنْكُمْ والجُدُودُ
وليدُكُمْ لَدَى رَأْيٍ كَشَيْخٍ   وَشَيْخُكُمْ لَدَى حَرْبٍ وَلِيدٌ

وكذلك الشاعرة "العجفاء" التي تعتبر "أول شاعرة بأرض الأندلس كانت من الجواري الوافدات من المشرق ولا نعرفها باسمها فذلك شيء غاب عن مؤرخي الأدب الأندلسي، وإنما بصفتها التي بها عرفت وذاع صيتها وأصبحت تعرف بالجارية العجفاء، ولقد كانت بالفعل عجفاء هزيلة ضعيفة نحيلة" [1]، كما "كانت الجارية العجفاء الدميمة شكلا، الساحرة فنا تنشد وتغني. يقول الأرقمي في تأفف ودعاه صديقه أبو السائب لسماعها في بيت سيدها : بأبي أنت إما هذا ؟ فقال له : اسكت، ثم تناولت العود وغنت :

بَـــرِحَ الخَفَاءُ فَأَيُّمَا بِكَ تَكْتُمُ   ولَسَوْفَ يَظْهَرُ مَا تُسِرُّ فَيُعْلَمُ
مِمَّا تَضَمَّنَ مِنْ عَزِيزٍ قَلْبُهُ   يَا قَلْبُ إِنَّكَ بِالحِسَانُ لَمُغْرَمُ
يَالَيْتَ أَنَّكَ يَا حُسَامُ بِأَرْضِنَا   تُلْقِي المَرَاسِيَ طَائِعًا وتُخَيِّمُ
فَتَذَوّق لذّةَ عَيْشِنَا وَنَعِيمَهُ   ونَكُونُ إِخْوَانًا، فَمَاذا تَنْقُمُ

فيقول الأرقمي إنه بعد سماعه هذه الأبيات زحف مع أبي السائب على الأرض متجها إلى العجفاء[2].

---

[1] مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ط4، ص:119.

[2] المرجع نفسه، ص : 120.

إن الحديث عن شاعرات هذه الحقبة يطول ولكن مع ذلك يمكن أن نقول أن هناك التزاما عند بعض الشاعرات "بالمحافظة في القول، معاني وصياغة"[1] ولكن هناك من الشعر من تراوح "بين الجد والمحافظة وبين الانطلاق والتحرر" [2] كعائشة القرطبية مثلا. ومع ذلك يمكن أن نعتبرها مرحلة وسطى "لبداية تشكل معالم حركة الشعر النسوي، أخذت تتجذّر أكثر في المجتمع بمختلف طبقاته وشرائحه"[3].

ب- في عصر ملوك الطوائف : (422 هـ- 493 هـ/1030م - 1099م)

في هذه الفترة ازداد عدد الشاعرات والذي "سيبلغ أعلى نسبة له في تاريخ الأندلس عامة"[4]. وساعد على ذلك تعدد العواصم والملوك، حيث حرص كل ملك على أن يجمع حوله أكبر عدد من الأدباء والشعراء وحتى الشاعرات.

وقد واكبت نهضة الشعر في القرن الخامس نهضة أخرى تمثلت في "وفرة عددهن واختلاف بلادهن ونفاسة إنشائهن وتجديد فنونهن" [5] كما برزنت معالم التجديد لدى الشاعرات الأندلسيات، أو بالأحرى السمات التي تميز بها الشعر النسوي الأندلسي، ويبدو ذلك خاصة من خلال غرضي الغزل والهجاء الذي بدت فيه الشاعرة الأندلسية أكثر جرأة من المرأة المشرقية

---

[1] و[2] المرجع السابق، ص : 129.

[3] نبيلة عبد الشكور، إسهام المرأة في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن 16 إلى نهاية التاسع للهجرة، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2007، 2008، ج1، ص : 61.

[4] المرجع نفسه، ص : 70.

[5] مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص : 141.

ويمكن أن نمثل لهما بشعر "نزهون القلاعية" الشاعرة الماجنة حيث تقول تصف لنا ليلة قضتها في أحضان حبيبها بعيدا عن أعين الرقباء تقول[1] :

لِلَّهِ دَرُّ اللَّيَالِي مَا أُحَيْسِنِهَا ومَا أُحَيْسِنَ مِنْهَا لَيلةَ الأحَدِ
لوْ كُنْتَ حَاضِرَنَا فيها وقَدْ غَفَلَتْ عينُ الرَّقِيبِ فَلم تنظرِ إلى أحدِ

وغيرها كثيرات كحفصة بنت الحاج الركونية و"ولادة بنت المستكفي" و"أم الكرام بنت المعتصم ... الخ.

ومنهن نزهون بنت القلاعي الغرناطية التي نظمت في هجاء شخص قبيح الصورة عرض عليها الزواج منه وهي ما ورد في هجائها تقول[2] :

عَزِيزِي مِن عَاشقٍ أَنْوَكِ سفِيهِ الإشَارَة والمُنْزَعِ
يَرُومُ الوِصَال بِمَا لَوِ أَتَى يَرومُ بهِ الصَّفْعَ لم يُصفعِ
برأسٍ فَقيرٍ إلى كَيَّةٍ وَوَجْهٍ فَقِيرٍ إِلَى يَرْقَعِ

إننا لا نكاد نصدق أن هذا الغزل الإباحي للمرأة الأندلسية، وهذا الهجاء الفاحش قد صدر منها، لأننا لم نعهده في الأدب العربي النّسوي ولكن مع هذا لا نستغرب إذا عرفنا أن هذا العصر عرف بشيوع الترف واللهو والطرب في المجتمع الأندلسي، بصورة لم يسبق لها مثيل، وتمتع المرأة بحرية لم يسبق أن تمتعت بها.

---

[1] المرجع السابق، ص : 159.

[2] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 200.

لكن مع ذلك هناك شاعرات عرفن في هذه الفترة بالعفاف وعالجن موضوعاتهن في حدود أنوثتهن كحفصة بنت حمدون الحجازية والغسانة البجانية ويمكن أن نمثل لهذا الاتجاه بهذه الأبيات.

تقول الغسانة البجانية[1] :

أَتَجْزَعُ إن قَالُوا سترحل أَضْغانُ   وَكيف تُطيقُ الصَّبرَ وَيْحَكَ إِنْ بَانُوا
ومَا هُوَ إلاَّ الموتُ عند رحيلهمْ   وإلاَّ فَصَبر مثل صَبْرٍ وَأَحْزَانُ
عَهِدتُمْ والعيش في ظِلِّ وَصْلِهِمْ   أَنِيقٌ وَرَوْضُ الدَّهْرِ أَزْهَرَ رَيَانُ
لَيالِي سَعْدٍ لا يخافُ على الهوَى   عِتَابُ ولا يَخْشَى عَلَى الوَصْلِ هِجْرَانُ

بالإضافة إلى غرضي الغزل والهجا فقد طرقت أغراض أخرى كالمدح ووصف الطبيعة والحكمة والشكوى وغيرهم.

و في الأخير يمكن أن نقول أن شعر هذه الفترة بدأت مظاهر التجديد والتميز تبدوا جليا خاصة في غرضي الغزل والهجاء وهذا ما سنوضحه في الفصل الثاني.

جـ- في العصر الموحدي والمرابطي :

لم تقف مسيرة الشعر بالشاعرات، بل حفلت هذه الفترة بعدد من الشاعرات لكنها قليلة بالموازنة مع الفترة السابقة فنجد "حفصة بنت الحاج الركونية"، "أسماء العامرية"، أم الهناء بنت عبد الحق، أم السعد بنت عصام الحميري ... الخ.

---

[1] مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص : 145.

كانت حفصة بنت الحاج والتي تعرف بحفصة الركونية، وهي شاعرة غرناطية في القرن السادس في غرناطة على زمانها مثل ولادة في قرطبة على زمانها أيضا، بل إن حفصة أشعر، وهي في غزلها أكثر جرأة في الهجوم على معاني العشق والإثارة والغيرة، فقد كتبت تهنئ أبا جعفر لمّا تولى الوزارة قائلة[1] :

رَأَسْتَ فَمَا زال العِداةُ بِظلمهمِ وعِلمهُم النّامِي يَقُولُونَ مَا رَأَسْ
وهَلْ مُنْكَرٌ أَنْ سَادَ أَهْلَ زَمانِهِ جُموحٌ إلى العُلْيا حرونٌ عَن الدَّنَسِ

كما قالت تتغزل بأبي جعفر في ثوب الاحتشام وقد أبدت عواطفها تقول[2] :

سَلاَمٌ يَفْتَحُ في زهره الـــ بكَامَ وينطِقُ الغُصُونْ
عَلَى نَازحٍ قَدْ ثَوَى فِي الحَشَا وإن كان تُحْرِمُ مِنْه العُيونُ
فَلاَ تَحْسِبوا العَبدَ ينساكمُ فذلك واللهِ ما لاَ يكونُ

كما اشتهرت في هذه الفترة "قسمونة بنت إسماعيل اليهودي" فهي "شاعرة يهودية امتازت بنظم الشعر والموشحات، وهي تذكر بسبب والدها الذي كان شاعرا كما يبدو"[3] ويقال عنها أيضا أنها أتمت موشحة صنعها أبوها غير أنه هناك اختلافاً في القرن الذي عاشت فيه. فهناك من يرى أنها عاشت في القرن السابع مثل المقرئ "فقد ذكرها بين مجموعة شعراء

---

[1] المرجع السابق، ص : 222.

[2] المرجع نفسه، ص : 222.

[3] سها قديسة، ترجمة بثينة الناصري، الأدب الأندلسي من القرن التاسع "إلى القرن الخامس عشر :
http : sjoseph . ucdavis. Edu / ewic/ v1 arabicparted / and alujian. PDF

القرن السابع، ولأن غرناطة كانت مليئة باليهود"[1] غير أن سعيد بوفلاقة في كتابه الشعر النسوي الأندلسي يرى بأنها عاشت في القرن الخامس والسادس تميزا بازدهار الموشحات. ولم يذكر لنا التاريخ من شعرها سوى مقطوعتين كل قطعة تمثل بيتين من الشعر"[2] يقول في الأولى[3] :

أرَى رَوْضةً قد حَانَ مِنْهَا قِطَافُهَا　　　ولستُ أَرَى جَانٍ يَمُدُّ لَهَا يَدَا
فَوَا أَسَفًا يَمْضِي الشّبَابُ مُضَيَّعًا　　　ويَبْقَى الذي مَا إِنْ أُسَمِيهِ مُفْرِدًا

قالت هذه الأبيات عندما نظرت في المرآة ذات يوم فرأت جمالها ووسامتها وشبابها الغض قد بدأ يمضي وهي لم يتقدم لخطبتها أحد.

أما المقطوعة الثانية فتقول فيها[4] :

يَا ضَبْيَةً تَرعَى بِرَوْضٍ دَائِمٍ　　　إنِّي حَكَيْتُكِ في التَوحُّشِ والحَوَرِ
أمْسَى كِلاَنا مُفْرَدًا عَن صاحبٍ　　　فَلْنَصْطبرْ أبدًا على حُكْمِ القَدَرِ

قيل أنها قالت هذين البيتين عندما نظرت إلى ضبية كانت لديها فوجدتها تشبهها في التوحش والحَوَرِ.

أما عن موشحاتها فلم يصلنا منها شيء.

---

[1] الموقع السابق.

[2] الموقع نفسه.

[3] و [4] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص:185.

II-2-3- شعرها بين المحافظة والتجديد

يمكن القول أن "شعراء الأندلس آثروا أمدا طويلا أن يعيشوا في أجواء المحافظة، جاهدين في الالتصاق بالموضوعات التقليدية" [1] باعتبار أن الشعر ديوان العرب ومرآة نفوسهم ومثوى منازعهم، ولم يكن ترك وطنهم وأهلهم بالأمر الهين عليهم. كما لم يكن من اليسير عليهم أن ينسلخوا مما كانوا فيه من طباع وعادات، ومن هنا كانت النماذج الأدبية الأولى تنسج على منوال الأدب المشرقي، وتستمد عناصرها من نسخه تنطوي على نكهته ولهذا "كان أدباء الأندلس يلقبون بألقاب المشارقة ويعرف الواحد منهم باسم أحد أعلام الأدب في المشرق"[2].

فمثلا ابن زيدون كان يعرف ببحتري المغرب.

كذلك هذا ما حدث لدى المرأة الشاعرة الأندلسية فقد جاء شعرها محافظا، وقد قال ابن سعيد:" يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة (العربيات) لمحافظتهن على المعاني العربية"[3] حتى أن شاعرات أندلسيات كانت تطلق عليهم ألقاب مشرقية مثل حمدة ويقال حمدونة بنت زياد المؤدب بأنها خنساء المغرب ومن عجيب قولها[4] :

ولمَّا أبَى الواشُونَ إلاَّ فِرَاقَنَا ومالهُمْ عِنْدِي وعنْدَكَ مِنْ ثَارِ
وشَنُّوا على أسماعِنا كُلَّ غَارَةٍ وقَلَّ حُمَاتي عنْدَ ذاك وأنصاري.

---

[1] عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، كلية الآداب، 1978، ط3، ص : 43.

[2] المرجع نفسه، ص : 44.

[3] المقري، مرجع سابق، ص : 64.

[4] المرجع نفسه، ص : 62.

غَزَوْتَهُم مِن مُقْلَتَيْك وَأَدْمُعِي ومِنْ نَفْسِي بالسَّيْفِ والسَّيْلِ والنَّارِ

كما يمكن أن نقول أن الشعر تميز بالأصالة كلما كان قريبا إلى عهود العرب الأولى في الأندلس " وبخاصة مرحلة الفتح وما تلاها من التواجد العربي في تلك الربوع الغربية"[1].

لكن هذا الحال لم يدم " مع دوام بقاء العرب في الأندلس واستقرارهم فيها ثم ما نجم عن ذلك من امتزاج بأهلها وتطبعهم بمناحي الحياة وبمؤثرات البيئة فيها"[2].

وهكذا تكونت ملامح شخصية طريفة في الأندلس حافظت على مقومات الأصالة، واستحالت في الوقت نفسه إلى دواعي التجديد، وهذا ما نجده كلما كان الشعر بعيد العهد بزمن الفتح كعصر ملوك الطوائف وعصر الموحدين والمرابطين ويتضح هذا التجديد ومؤثراته أكثر عند دراستنا للفنون الشعرية لولادة بنت المستكفي في الفصل الثاني.

---

[1] عمر الدقاق، مرجع سابق، ص : 44.

[2] المرجع نفسه، ص : 45.

خاتمة الفصل الأول

مما سبق نستخلص انه بغض النظر عن الآراء التي قيلت في مفهوم الأدب النّسوي فإنه يمكننا أن نقول أن المرأة العربية عامة مارست نشاطها الفني عبر العصور المختلفة.

فالمرأة المشرقية تناولت موضوعات وأغراضا شعرية متعددة إلا أنها برزت في أنواع معينة كالرثاء في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، والفخر والهجاء والغزل وحتى الرثاء في العصر الأموي والعصر العباسي.

في حين أن المرأة الأندلسية تطرقت إلى الموضوعات السابقة إلا أنها أضفت عليها ملامح وسمات فنية جديدة، في حين نجد البعض منهن قد فضلن العيش في أجواء الموضوعات التقليدية العربية.

الفصل الثاني

III- الإبداع الشعري عند ولادة بنت المستكفي

III-1- عصر ولادة وحياتها

III-2- فنونها الشعرية

تمهيد

إن المتتبع للشعر النّسوي في عصر ملوك الطوائف يتضح له جلي ملامح التجديد بشكل لم نعهده في الشعر النّسوي عامة سواء في المشرق العربي أو الأندلس، حيث برز عدد من النساء الشواعر اللائ ي نظمن في أغراض متعددة واستطعن أن يتركن بصمتهن في راية الشعر الأندلسي، وساعدهن على ذلك الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكذا الثقافية.

ولعل أهم شاعرة اشتهرت في هذا العصر وفرضت سطوتها في مركب الشعر النّسوي هي ولادة بنت المستكفي.

فهل كان شعرها يتناسب وما قيل عن نسبها وشخصيتها ؟ وهل استطاعت أن تتفوق في الأغراض التي طرقتها بنات زمانها ؟ وأين تكمن ملامح التجديد ؟

III-1- عصر ولادة وحياتها

III-1-1- عصر ولادة :

ما إن طلع فجر القرن الخامس الهجري على بلاد الأندلس حتى بدا جليا أن فترة الوحدة في ربوع الأندلس قد بدأت تلاشى، فتعدد الملوك وتعددت العواصم، فكانت هذه الفترة ولادة فترة ملوك الطوائف، حيث راحت هذه الممالك تتصارع فيما بينها، أصبحت كل منها تحاول توسيع رقعتها على حساب جارتها المسلمة، حتى ذهب الاستهتار بهؤلاء الأقوام إلى الاستعانة بأعداء دينهم ووطنهم على إخوانهم. وكانت ممالك النصارى تنصر أحدهم على أخيه مقابل تنازله له عن حصن أو قلعة، أو جزء من مملكته، أو مقابل دفع جزية لها علامة على احتمائه بقوتها وتبعيته لها [1].

وعلى الرغم من هذه التجزئة السياسية التي شهدتها الأندلس إلا أنها شهدت في مقابل ذلك ازدهار في الحياة الأدبية والفكرية، فأصبح لكل ملك بلاط تنعقد فيه مجالس العلماء وحلقات الشعراء، وذلك بغرض جمع حوله أكبر عدد من الأدباء والشعراء "فنجم عن ذلك العديد من النوابغ في الشعر الأندلسي أمثال "إبن زيدون"، و"ابن الحداد"، و"المعتمد بن عباد"[2].

وفي هذا الصدد يصور عمر الدقاق في كتابه ملامح الشعر الأندلسي الحياة الأدبية والفكرية في هذه الفترة ومدى اهتمامهم بهذه الأخيرة فيقول : وكان لكل أمير

---

[1] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 40.

[2] مصطفى الشعكة، مرجع سابق، ص : 141.

من أمراء الطوائف ميزة اختص بها دون جيرانه، فامتاز المتوكل صاحب بطليموس بالعلم الغزير، وامتاز ابن ذي النون صاحب طليطلة بالبذخ البالغ، وفاق ابن رزين صاحب السهلة أنداده في الموسيقى، واختص المقتدر ابن هود صاحب سرقسطة بالعلوم، وبز ابن مرسية أقرانه بالنثر الجميل المسجوع، أما الشعر فكان أمرا مشتركا بينهم جميعا يلقى منهم كل رعاية، ولكن عناية بني عباد أصحاب اشبيلية به كانت أعظم وأشمل"[1].

كما واكبت نهضة الشعر في القرن الخامس نهضة أخرى من الشاعرات تمثلت في وفرة عددهن، واختلاف بلادهن ونفاسة إنشائهن وتجديد فنونهن ولعل الذي ساعد على ذلك هو حصول المرأة في هذا العصر على حرية أكبر من ذي قبل. بالإضافة إلى انتشار المجالس الأدبية والفكرية، وكذا مجالس الطرب والغناء التي كنّ يحضرنها من أجل إنشاد الشعر والغناء.

ومن هنا فإننا نلاحظ بزوغ كوكبة من الشاعرات اللواتي عشن خلال القرن الخامس الهجري أمثال: الشاعرة "الغسانية البجانية" و"غاية المنى"، و"حمدونة بنت زياد" في غرناطة، والأميرة "بثينة بنت المعتمد بن عباد" في اشبيلية، و"ولاة بنت المستكفي" وصديقتها "مهجة بنت التيان القرطبية" في قرطبة.غير أن الملفت للانتباه أن الشعر النسوي في القرن الخامس الهجري قد انحصر تقريبا في غرض واحد هو غرض الغزل. وفي هذا السياق يقول مصطفى الشكعة "أكثر ما خلف هؤلاء الشاعرات

---

[1] المرجع السابق، ص : 141.

كان فن الغزل، وإما أنّه جرى على عادة النقاد القدماء ومؤرخي الأدب الذين لم يكونوا يهتمون إلا بتقديم المثير المنتقى من شعر الشعراء والشاعرات"[1].

III-1-2- نسبها وحياتها

تعتبر ولادة أشهر شاعرات قرطبة، بل هي شاعرة الأندلس وأعلاهن رتبة وأسماهن في الأدب مقاما، يعود نسبها إلى البيت الأموي بالغرب الإسلامي. وتتصل سلسلة أجدادها بعبد الرحمان الداخل من بني عبد الملك بن مروان، فهي بنت محمد بن عبد الرحمان الناصري الملقب بالمستكفي "وكانت دولته سبعة عشرة شهرا صعابا نكدات، سودا مشوهات، أرسله الله تعالى على أهل قرطبة محنة وبلية. إذ كان منذ يعرف غفلا عطلا منقطعا على البطالة، مجبولا على الجهالة، عاطلا من كل خلة تدل على فضيلة"[2]، وقد جاء في وصفه أنّه" ربعة أشقر، أشم، مدور الوجه واللحية، ضخم الوجه والجسم، كبير البطن، صاحب أكل وشرب وجماع وتخلف"[3].

أما عن أمها "فيعتقد أنها بنت سكرى الموروية وهي أَمَةٌ مسيحية خبيثة، وكانت شريرة استبدت بالمستكفي" [4] لذا فإننا نجد أن ولادة نشأت على سنّة أمها في سهولة

---

[1] المرجع السابق، ص : 141.

[2] سعيد بوفلاقة، ولادة بنت المستكفي، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، (د،ط)، ص: 27.

[3] المرجع نفسه، ص : 27.

[4] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 81.

الحجاب، وورثت عنها بشرتها البيضاء، وشعرها الأصهب، وعينيها الزرقاوين، وجمال قوامها"[1].

لقد بخلت علينا المصادر التي أرّخت كتب التاريخ عن ذكر السنة التي ولدت فيها لكن ما نعرفه أنّها عمرت عمرا طويلا، ولم تتزوج قط، وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاثمائة وثمانين، وقيل أربعمائة رحمها الله تعالى وقد قاربت المائة فيكون مولدها قريبا من سنة 386 هـ.

ولم تدم سلطة أبيها طويلا في الحكم حيث توفي سنة 416 هـ، وكانت ولادة في شرخ شبابها، وذروة شهرتها، وقد شهدت مصرع آبائها وانهيار دولتهم وتربع أمراء الطوائف على أرائكهم، وكانت ولادة قد أخذت قسطا وافرا من التعليم قبل وفاة أبيها، حيث أحضر لها والدها العلماء والمثقفين وحدب على تربيتها، لكنّها "ورثت عنه وعن أمها الشريرة ميلها إلى المرح والتحرر من قيود المجتمع، والجرأة على الفساد، وهكذا تحررت من الأصفاد الاجتماعية، بعد موت أبيها، فسفرت عن وجهها"[2].

أما عن حياتها الأدبية فقد فتحت أبواب قصرها للأدباء والشعراء ورجال الفكر، "وكان مجلسها بقرطبة منتدى أحرار المصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر، ويعشو أهل الأدب على ضوء غرّتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، وعلى سهولة حجابها"[3].

---

[1] المرجع السابق، ص : 82.

[2] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت (د،ت)، (د،ط)، ج4، ص : 699.

[3] المقري، مرجع سابق، ج5، ص : 243.

كان مجلسها بقرطبة تجمع فيه بين الجمال والأدب والذوق، ورواء الحديث، وحلاوة الرد، وحرارة النكتة حتى صح أن تعد من كبيرات ربات المجالس الأدبية أو الصالونات في الأدب العربي، فسبقت به أديبات فرنسا بعدة قرون"[1]. فاجتمع في ندوتها من معاصريها شعراء وأدباء ووزراء من الرجال والنساء، وكانت تستقبل الجميع ببشاشة ولطف وقد أشارت إلى ذلك حين قالت[2] :

إنِّي وإنْ نَظَرَ الأنَامُ لِبـــَهْجَتِي كَظِبَاءِ مَكَّة صَيْدُهُنَّ حَـــرَامُ
يُحْسَبْنَ من لينِ الكلامِ فواحشًا ويَصُدُّهُنَّ عن الخَنَا الاسْلاَمُ

كان الشاعر ابن زيدون من رواد هذا الصالون، وعلى رواده يقرأ شعره فأعجبت ولادة بشعره، وفصاحته وطموحه وأعجب هو الآخر بسحرها وخِفَّة روحها، فانبعثت في كل منهما ميل قوي نحو الآخر.

III-1-3- صفاتها وأخلاقها

أما عن صفات وأخلاق ولادة فالمصادر القديمة حافلة "بوصف جمالها وعفافها"[3]، فقد قال عنها ابن سعيد : "إنها بالغرب كعليّة (أخت الرشيد) في الشرق، إلا أن هذه –ولادة– تزيد بمزية الحسن الفائق، أما الأدب والشعر والنادرة وخفة الروح فلم

---

[1] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 83.

[2] المرجع نفسه، ص : 84، 85.

[3] سعيد بوفلاقة، ولادة بنت المستكفي، مرجع سابق، ص : 73.

تقصر عنها"[1]، فقد "فتنت شعراء زمانها بجمالها وسحرها وشعرها وذكائها وثقافتها"[2].

وقال عنها ابن بسام : "كانت من نساء أهل زمانها واحدة أقرانها، وحضور شاهد، وحرارة أوابد، وحسن منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر، وكان مجلسها بقرطبة منتدى الأحرار المصر ... وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب، على أنها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها، ومجاهرتها بلذاتها"[3].

يبدو من خلال قول ابن بسام أنه هناك تناقضا، فمرة يصفها بطهارة الأثواب وفي نفس الوقت يصفها بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها، كما وصفها ابن بشكوال بقوله: "لم يكن لها تصاون يطابق شرفها" [4] ولعل وصف ولادة بالصيانة والعفاف من قبل المؤرخين القدامى كابن بسام صاحب كتاب الذخيرة والشيخ بشكوال صاحب الصلة هو لطف منهم ويعود ذلك إلى :

1 - طبيعتهم وأخلاقهم وطهارة أقلامهم[5].

2 - انبهار المؤرخين بشخصيتها والافتنان بأدبها وبديهتها[6].

---

[1] و[2] مصطفى الشعكة، مرجع سابق، ص : 178.

[3] المقري، مرجع سابق، ج 5، ص : 343.

[4] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 92.

[5] المرجع نفسه، ص : 93.

[6] مصطفى الشعكة، مرجع سابق، ص : 178.

أما عند الذين جاؤوا بعدهم كالمقري صاحب نفح الطيب فقد وصفها هو الآخر بالعفاف وطهارة الأثواب حيث يقول : "وكانت مشهورة بالصيانة والعفاف" [1]. لكن الغريب في الأمر هو إيراده لهذا القول مباشرة بعد بيتين شعريين لولادة في غرض الغزل تقول[2] :

أنَـــا واللَّهِ أَصـــْلُحُ للمَعَـــــالِي وأمْشِي مِشْيَتِي وأتِـــيهُ تِيهَا
وأَمَكِّنُ عَاشِقِي مِنْ صَحْنِ خَدِّي وأعْطِي قُبْلَتِي مَنْ يَشْتَهِيهَا

فقد علق المقري على هذين البيتين بالمقولة السابقة، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على "نقل المتأخرين عن المصادر القريبة من عصور ولادة دون تمحيص أو تدقيق"[3]، دون أن ينتبهوا إلى التناقض الموجود في أقوال سابقيهم والحقيقة أن ولادة لم تكن متعففة ولا متصاونة بل كانت متحررة إلى أقصى الحدود فقد "ثارت على التقاليد والعادات الاجتماعية، وأرادت أن تبقى لها حريتها، تتصرف بها بقطع النظر عن المجتمع وما فرضه عليها من قيود كأنثى"[4].

إن قصة ولادة مع ابن زيدون تدل بكل وضوح على استهتارها وتحررها، فقد أورد ابن بسام قطعة نثرية على لسان ابن زيدون يقول : "كنت في أيام الشباب، وغمرة التصاب هائما بغادة، تدعى ولادة، فلما قدر اللقاء وساعد القضاء كتبت إلي :

تَرَقَّبْ إذَا جَـــنَّ الظَّلَامُ زِيَارَتِي فَإنِّي رأيتُ اللَّيـــلَ أَكْتَمُ للسِـــرِّ

---

[1] المقري، مرجع سابق، ج 5، ص : 340.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 94.

[4] المرجع نفسه، ص : 93.

وبي مِنْكَ لَو كَانَ بِالبَدْرِ مَا بَدَا وبِاللَّيل مَا أَدْجَى وبِالنَّجْمِ لَمْ يَسْرِ

فلما طوى النهار كافوره، ونشر الليل عبيره ... ملنا إلى روض مدبّج وظل سَجْسَج ..."[1].

في هذه القطعة النثرية ابن زيدون يصف لنا لقاءه مع ولادة، وكما يبدوا كان ذلك بطلب منها، غير أن القصة هناك من عارضها ومنهم الدكتور محمود صبح صاحب كتاب ابن زيدون شاعر قرطبة، فهو يرى بأن هذه القصة من وضع ابن بسام وانتحاله ويشير إلى التناقض الموجود في النص فقول ابن زيدون : ... ملنا إلى روض مدبّج وظل سَجْسَج ...) فيرى د. محمود صبح أن "هذا حصيلة سجع ابن بسام ونتيجة تأليفه وتركيبه وإلا فما هذا الظل السجسج في الليل، لأنه كان قال (فلما طوى النّهار كافوره ونشر الليل عبيره...)"[2].

فبالرغم من المعارضة الموجودة ضد هذه القصة إلا أن "للقصة جذورا لأن ولادة ليست تلك المرأة العفيفة الحصان التي تتصوّن" [3]. وشعرها الإباحي الذي يمتاز بالفظاظة والخشونة والبذاءة دليل على استهتارها بالقيم، حتى قيل عن شعرها بأنه أحسن من سلوكها الغريب الأطوار.

---

[1] المرجع السابق، ص : 95 – 96.

[2] المرجع نفسه، ص : 95.

[3] المرجع نفسه، ص : 96.

III-2- فنونها الشعرية

طرَق شعراء الأندلس كل الأغراض والفنون الشعرية التي كانت معروفة عند شعراء المشرق، من غزل، وهجاء، ورثاء، وحكمة وزهد، واستعطاف "غير أنهم توسعوا في بعض الموضوعات وطبَعوها بطابعهم الخاص، كوصف الطبيعة والعمران، ورثاء المدن والممالك الزائلة واستحدثوا فنونا شعرية أخرى كالموشحات والأزجال"[1].

أما شاعرات الأندلس "فلم ينظمن في كل الأغراض والفنون الشعرية التي عرفت عند الشعراء"[2]، أو بالأحرى لم يصلنا من شعرهن كل الموضوعات وأهم الأغراض التي تناولنها وهي الغزل، المدح، الهجاء، وصف الطبيعة والشكوى والاستعطاف بالإضافة إلى الموشحات[*].

بما أننا اقتصرنا في بحثنا على عصر ملوك الطوائف، فإن الأغراض الشعرية التي نظمن فيها أكثرها كان الغزل والهجاء، ووصف الطبيعة. وتعتبر ولادة أبرز شاعرة مثلت هذا العصر، فنالت شهرة كبيرة على خلاف بنات عصرها، وهذا لسببين مهمين :

---

[1] المرجع السابق، ص : 191.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[*] الموشح : قصيدة أو قطعة شعرية موضوعة للغناء وتتنوع أوزانه وقوافيه، أقرب إلى قطعة موسيقية إلى قصيدة شعرية.

السبب الأول : أنها من بيت الخلافة وابنة خليفة، وصاحبة منتدى يؤم الأدباء، وذات جمال وفتنة فسحرت جمهرة الشعراء فوقع التنافس بينهم سعيا للفوز بقلبها والاستئثار بحبها.

السبب الثاني : هو ارتباطها بابن زيدون شاعر قرطبة الذي منحته الكثير من الحب ووهبته الوفير من الود فقال فيها أجمل الغزل، وأرقّه، وأنشأت بدورها فيه الرائعة من الأبيات اللّطاف، والعذبة من القصائد الآسرة[1].

فقد قال عنها الضبّي "بأنّها كانت أديبة، شاعرة جزلة القول، حسنة الشعر، وكانت تناضل الشعراء، وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء"[2]، وما وصلنا من شعرها فهو يتراوح بين الغزل والهجاء والعتاب.

III-2-1- الغزل

يعتبر الغزل أبرز غرض في الشعر النّسوي الأندلسي، ومرد ذلك إلى انتشار مجالس اللهو والطرب في المجتمع الأندلسي بالإضافة إلى الحرية التي تمتعت بها المرأة الأندلسية.

وعلى اعتبار أن الغزل ينقسم إلى نوعين : الاتجاه العذري العفيف، واتجاه المجون والشهوة "وهو اتجاه حسي تحركه الشهوة، وتجدد نشاطه الرغبة المستمرة"[3].

---

[1] مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص : 181.

[2] المقري، مرجع سابق، ج5، ص : 243.

[3] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 192.

تقول ولادة[1] : (البحر الوافر)

أنَـــا واللَّهِ أصــْلُحُ للمَعَــــالِي   وأمْشِي مِشْيَتِي وأتِــيهُ تِيهَا
وأمَكِّنُ عَاشِقِي مِنْ صَحْنِ خَدِّي   وأعْطِي قُبْلَتِي مَنْ يَشْتَهِيهَا

كما تطلب من ابن زيدون ترقب لقائها قائلة[2] : (البحر الطويل)

تَرَقَّبْ إذَا جَــنَّ الظَّــلاَمُ زِيَارَتِي   فَإنِّي رأيتُ اللَّيــلَ أكْتَمُ للسِــرِّ
وبِي مِنْكَ لَو كَانَ بالشمس لم تَلُحُ   وبِالبدْرِ لَمْ يَطْلِعْ وباللَّيل لَمْ يَسْرِ

وفت بوعدها، ولما انصرفت ودعته بأبيات شعرية قائلة[3] :

ودَّعَ الصَّبْرُ مُحِبٌ ودَّعَــكَ   ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَودَعَــكْ
يَقْرَعُ السِنَّ عَلَى أنْ لَمْ يَكُنْ   زَادَ فِي تِلْكَ الخُطَى إذ شَيَّعَكْ
يَا أخَا البَدْرِ سَنَــاءً وَسَنَا   حَفِــظَ اللهُ زَمَــانًا أرْجَــعَكْ
إنْ بَطُلَ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكَمْ   بتُّ أشكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَــكْ

وكتبت إليه أيضا[4] : (البحر الطويل)

ألاَ هَلْ لَــنَا مِــنْ بَعْــدِ هَذا التَفَرُّقِ   سَبيلٌ فَيشْــكُو كُلُّ صَبٍّ بِمَــا لَقِي
وقَدْ كُنْتُ أوقَاتَ التَزَاوُرِ في الشِتا   أبِيتُ عَلَى جَمرٍ مِنِ الشَّوقِ مُحْرَقِ
فَكَيْفَ وقَدْ أمْسَيْتُ فِي حَالِ قِطْعَةٍ   لقَدْ عَجَّلَ المَقْدُورَ* مَا كُنْتُ أتَّقِــي

---

[1] المقري، مرجع سابق، ج5، ص 340.

[2] المرجع نفسه، ص 341.

[3] المرجع نفسه، ص 341، 342.

[4] المرجع نفسه، ص 342.

* جاء في ديوان ابن زيدون : المقدور : المقدار.

تَمُرُّ اللَّيَالِي لاَ أَرَى البَيْنَ يَنْقَضِي وَلاَ الصَّبْرَ مِنْ رِقِّ التَّشَوُّقِ مُعْتَقِي
سَقَى اللهُ أَرْضًا قَدْ غَدَتْ لَكَ مَنْزِلاً بِكُلِّ سُكُوبٍ هَاطِلِ الوَبْلِ** مُغْدِقِ

أنشأت هذه الأبيات في مقام التذمر والغيرة، تترجم مشاعرها تجاه ابن زيدون وحبها إياه، في "غزل رقيق يجمع الصبابة والشكوى على طريقة عدد من شاعرات الأندلس أعطين لأنفسهن الحرية الكاملة في التغزل بالرجل تغزل الرجل بالمرأة"[1].

كما كتبت أبياتا تدافع فيها عن جمالها وكبريائها وتعنف ابن زيدون تقول[2] :

لوْ كُنْتَ تُنْصِفُ فِي الهَوى ما بَيْنَنَا لمْ تَهْوَ جَارِيَتِي ولمْ تَتَخَيَّرِ
وتَرَكْتَ غُصْنًا مُثْمِرًا بِجَمَالِهِ وَجَنَحْتَ للْغُصْنِ الّذي لم يُثْمِرِ
ولقد علمتَ بأنّني بَدْرُ السَّمَا لكن دُهيتَ لشَقْوتِي بِالمُشْتَرِي

فقد شبهت نفسها بالغصن المثمر وجعلت نفسها ندا للبدر في سمائه كما أجرت طباقا بين البدر والمشتري، فهذا منير وذاك مظلم آفل.

الملاحظ عن غزل ولادة أنه ارتبط دائما بابن زيدون، وكأنه هو الحافز على نظم الشعر لدى ولادة، فتغزلت بابن زيدون كما تغزل بها هو الآخر، "وهذه الظاهرة تتكرر كثيرا في الأندلس، ولا توجد في المشرق إلا نادرا"[3].

** جاء في ديوان ابن زيدون : الوبل : الوَدْقُ.

[1] مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص : 184.

[2] المرجع نفسه، ص 183.

[3] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 204.

لم تقتصر ولادة على هذا النوع من الغزل، أي تغزل المرأة بالرجل بل تجرأت على تناول موضوع ظاهرة حب المرأة للمرأة، أو بما يعرف بالجنسية المثلية، حيث اتُّهِمَت ولادة بمهجة بنت التياني القرطبية[1].

لم تنفرد ولادة بهذا النوع من الغزل، بل هناك شاعرات من بنات عصرها من نظم في هذا الاتجاه، فنجد الشاعرة أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح، نزهون بنت القلاعي الغرناطية ولكن مع ذلك هناك شاعرات عاصرن ولادة وكتبن شعرا غزليا عفيفا مثل الشاعرة الغسانية البجانية، أم العلاء بنت يوسف الحجازية.

تقول أم العلاء بنت يوسف الحجازية[2] في غرض الغزل :

كلُّ ما يَصدُرُ عنكم حسنٌ *** وبِعِلِياكُمْ تَخلّى الزّمنُ
تَعطِفُ العيْنُ على مَنْظرِكُمْ *** وبِذِكْراكُمْ تلِذُّ الأذُنُ
من يعشْ دونَكُم في عُمُرِهِ *** فهو في نيلِ الأمانِي يُغْبَنُ

هذه الأبيات غزلها عفيف كتبتها الشاعرة تمدح حبيبها الذي كل ما يصدر عنه حسن.

يمكن أن نقول عن غزل ولادة أو بالأحرى الغزل في عصر ملوك الطوائف أنه غلب عليه روح الإباحية والمجون وهو يعبر عن الوضع الجديد الذي انتهى إليه المجتمع في هذه الفترة، كما يدل على انحلال المجتمع الأندلسي. لكن مع ذلك جاء

---

[1] المرجع السابق، ص 98.

[2] المرجع نفسه، ص : 131.

شعرهن جميل الصياغة حيث قيل عن الشعر الغزلي لولادة أنه "جميل الصياغة، عذب الألفاظ، سلس الأسلوب، حسن الديباجة"[1].

الشعر الغزلي لولادة التزمت فيه بعمود الشعر، التزمت بالقافية، وحرف الروي، ولم يخرج شعرها الغزلي عن البحور الخليلية، فنظمت في البحر الطويل، والسريع، والوافر ... الخ.

أما عن الأسلوب : فأسلوبها سهل سلس، بعيد عن الغموض، ويعود ذلك إلى استعمالها لألفاظ سهلة بسيطة، يمكن أن نصنفها إلى :

1- ألفاظ عاطفية : هي ألفاظ مهيمنة على شعرها، وذلك لطبيعة الغرض (الغزل) فنجد: المحب، الصبابة، الشوق، الهوى، ... الخ.

2- ألفاظ اجتماعية : ونقصد بها الألفاظ التي تحيلنا عن وضعية المجتمع آنذاك، تقول : "أنا والله أصلح للمعالي" تدل على أنه هناك طبقية في المجتمع وتقول : "لو كنت تهوى جاريتي" دلالة على أنه هناك جواري وحرائر في المجتمع الأندلسي.

2- ألفاظ الطبيعة : هي ميزة تميز بها شعر المرأة الأندلسية فنجد البدر، الليل، الشمس، الظلام، الشتاء، الغصن المثمر، السماء ... الخ، وهو دليل على تأثر الشاعرة بالطبيعة الأندلسية الخلابة.

أما عن المعاني : فقد استطاعت أن تبلغ مرادها دون تكلف أو تصنع فصاغت معانيها في يسر وبساطة غير عامدة إلى النحت أو التصوير وكأن هدفها حُسن التعبير، وهذا ما

---

[1] سعيد بوفلاقة، ولادة بنت المستكفي، مرجع سابق، ص : 45.

يجعل القارئ يحس بدفء العاطفة وصدقها، رغم إباحية ومجون شعرها الغزلي[1].

في مقابل ذلك نجد الشعر الغزلي الرجالي هو الآخر ينقسم إلى اتجاهين، اتجاه عفيف، واتجاه لهو ومتعة.

ففي الاتجاه العفيف نجد الشاعر أبي الفرج الجياني يقول[2] :

وطَائِعُهُ الوصلُ صددْتُ عنها وما الشيطانُ فيها بالمُطاع
بدتْ في اللّيلِ سَافرةً فباتَتْ دياجِي اللّيلِ سافرَةُ القِناعِ
فمَلكَتْ الهَوى حَمحَماتَ قلبي لأجْرِي في العفافِ على طِباعِي.

كما شاع الغزل بالرجل في مقابل الغزل بالمؤنث كما ذكرنا سابقا كما يقول د.عبد العزيز عتيق : "شاع بين شعراء الأندلس الغزل بالمذكر، وكانوا فيه مقلدين لبعض الشعراء العباسيين ... ولكنهم لم يسفوا ويفحشوا كما فعل هؤلاء الشعراء"[3].

إن ولادة وبنات عصرها أبحن لأنفسهن القول في الغزل بنوعيه وإن كان أحد هذين النوعين (اتجاه المجون) كان حكرا على الرجال فقط. وهذا كله بفضل الحرية التي تمتعت بها المرأة الأندلسية كما ذكرنا سابقا. ومن هنا يمكن أن نقول أن الحرية المفرطة تنعكس سلبا على المرأة وعلى مجتمعها.

إن أول سمة صادفتنا في شعر المرأة الغزلي هي نظمها في موضوعات كانت مقصورة على الرجال فقط مثل تغزلها بالرجل كما يتغزل بها. فلم تصبح المرأة

---

[1] مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص 185.

[2] عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ط 2، ص:172.

[3] المرجع السابق، ص : 173.

موضوع الغزل فقط، بل أصبح الرجل هو الآخر موضوع الغزل النسوي. لكن أين يكمن الفرق بين غزليهما ؟ هل يكمن في المعاني مثلا ؟ أم في الأساليب ؟

الغزل الرجالي : ابن زيدون شاعر قرطبة أنموذجا

كتب ابن زيدون رسالة لولادة في قصيدة يقول[1] :

إنّي ذكرتُكِ، بِالزّهراءِ مشتاقاً *** والأفُقُ طلقٌ ومَرأى الأرضِ قَدْ رَاقَا
ولِلنّسِيمِ اعتِلالٌ، فِي أَصَائِلِهِ *** كَأنّهُ رَقّ لِي، فاعْتَلّ إشْفَاقاَ
والرّوضُ عنْ مَائِهِ الفِضِّي مُبتَسِمٌ *** كمَا شَقَقْتَ عنِ اللّباتِ أطْواقاَ
يومٌ كأيّامِ لِذَاتٍ لنَا انصَرمَتْ *** بِتْنَا لهَا حِينَ نَامَ الدّهرُ سُرَّاقَا
نَلهُو بِمَا يَستمِيلُ العَينَ مِن زَهرٍ *** جَال النّدَى فيهِ حتّى مَالَ أعْنَاقَا
كأنّ أعيُنَهُ إذْ عاينَتْ أرقِي *** بَكَتْ لِمَا بِي، فَجَال الدّمعُ رَقْرَاقَا
وردٌ تَألّقَ، في ضاحِي مَنَابِتِهُ *** فازْدادَ مِنهُ الضُحَى، في العَينِ إشراقَا
سَرَى يُنافِحُهُ نَيْلُوفَرٌ عَبِقٌ *** وَسْنانٌ نَبَّهَ منهُ الصُّبحَ أحْداقَا
كُلٌّ يَهيجُ لَنا ذِكْرَى تَشوُّقُنا *** إليكِ، لمْ يعُدْ عنها الصَّدرُ أنْ ضَاقَا
لا سكّنَ اللهُ قلباً عقّ ذِكْرَكُمْ *** فلمْ يطِرْ بِجناحِ الشّوقِ، خَفّاقَا
لو شاءَ حَمْلِي نسيمُ الصُّبحِ حين سَرَى *** وافَاكُمُ بِفتَى أضْناهُ ما لاَقَى

الملاحظ عن هذه القصيدة أن الشاعر التزم بالوزن والقافية أي بعمود الشعر العربي، كما استهل القصيدة بمقدمة طللية، لكن بصياغة جديدة حيث اختار الألفاظ المناسبة لهذه المقدمة الطللية، ثم بعدها دخل موضوع الغزل وهذا أمر لم نعهده في

---

[1] يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991، ط 1، ص: 46 – 47.

الغزل النّسوي الأندلسي، حيث طرقت المرأة الموضوع مباشرة دون مقدمة أو تمهيد فجاءت أشعارها عبارة عن مقطوعات شعرية. فولادة مثلا لم تتجاوز أشعارها الغزلية الخمسة أبيات.

أما عن أسلوب القصيدة فهو سهل بسيط، يعود إلى حسن اختيار الألفاظ فاستعمل الشاعر ألفاظ الطبيعة بصورة ملفتة للانتباه. فالقارئ يحسّ أن الشاعر يشتكي حاله إلى الطبيعة، ومن خلالها نقل أفكاره ومشاعره. نجد الزهراء، الأرض، النسيم، الندى، الروض ... الخ.

أما عن المعاني : فلا نجد فيها إباحية كالتي وجدناها في شعر ولادة وكذا بنات عصرها وذلك لأنه لم يصرّح عن مشاعره تصريح مباشر مثل شعر ولادة بل مزج شعره بصورة بيانية أخفت وراءها تلك الإباحية فجاءت عاطفته صادقة.

III-2-2- الهجاء :

لم تكن ولادة شاعرة غزلية فحسب، بل كانت أيضا هجاءة مريرة، سليطة اللسان، استطاعت بحدة لسانها أن تفوق أترابها من بنات عصرها. ويندرج هجاء ولادة ضمن الهجاء الشخصي أي الهجاء الذي يكون بين فردين، يتصف في الغالب بصفة التشهير بين شاعر وآخر، أو بين شاعر أو أحد أعدائه، وهو يتسم بالبذاءة والفحش والإقذاء.

وفي هذا السياق يمكن أن نورد من شعر ولادة في هذا الغرض هذه الأبيات التي قالتها في هجاء ابن زيدون حين لقبته بالمسدس [*] وهو أخف ما قالته في هجائه تقول [1] : (البحر الوافر)

ولُقِبْتَ المُسدَّسُ وهو نعتٌ * تُفارقُكَ الحياةُ ولا يُفارقْ

فَلَوْطي ومأبونٌ وزانٍ * وديُّوثٌ وقَرْنانٌ وسارِقْ

لم تقف ولادة عند هجاء ابن زيدون، بل هجت الأصبحي وابنه هجاء مريرا، فلطخت سمعتهما حيث قالت[2] فيهما :

يا أصبَحِي اهْنَأْ فكمْ نِعمَةٍ * جاءَتكَ مِن ذِي العرشِ رَبِّ المِنَنِ

قد نِلتَ ... [**] ابْنكَ ما لمْ يَنل * ... [***] بورَانٌ أبُوها الحَسَنْ

لقد بلغ هجاء ولادة من الفحش درجة لا نكاد نصدقها، خاصة وهي شاعرة وأميرة من البيت الأموي الأندلسي، يُنتظر منها الحشمة والحياء والعفة.

ولعل ما يجعلنا نقر بأن ولادة قد تجاوزت الحدود في استعمال الشعر وتسخيره لهواها ونزواتها من خلال استعمالها لألفاظ فيها كثير من الفحش وكثير من البذاءة،

---

[*] المسدس : أنه جمع من خصال الذم ست خصال.

[1] المقري، مرجع سابق، ج 5، ص : 340.

[2] المرجع السابق، ص : 341.

[**] كلمة بذيئة

[***] كلمة بذيئة

وقذف بالشتائم وذكر السوءات لدرجة أن بعض أشعارها نجد فيها حذفاً للكلمات البذيئة من طرف بعض المؤلفات، وهذا ما جعل أسلوبها في عرض الهجاء أسلوباً سوقياً[1].

إن هذا النوع من الهجاء لم يقتصر على ولادة فقط، بل تناولته بعض الجواري ممن نلن قسطا وافرا من العلم والأدب أمثال مهجة بنت التياني القرطبية، التي احتضنتها ولادة وعلمتها قول الشعر البذيء والعنف والشراسة، فها هي تهجو ولادة هجاء فاحشا متهمة إياها أنها ولدت وليس لها بعل فقد قالت[2] :

ولادَةٌ قدْ صِرتِ وَلاَدَةً * مِنْ غَيرِ بَعلٍ، فَضْحُ الكَاتِمِ
حكَتْ لنَا مَريمُ لكِنّهُ * نَخْلةَ هَذِي ... *... قائمُ

من خلال هذين البيتين يتبين لنا كيف أن مهجة كانت سليطة اللسان فاحشة القول لا تتوالى في ذكر العورات، وكيف أنها استطاعت بدهائها أن تستلهم معاني هجاءها من معنى اسم ولادة.

وهناك شاعرات أخريات تناولن هذا الغرض بأسلوب سوقي بذيء مثل نزهون بنت القلاعي الغرناطية تقول[3] :

عَذِيرِي مِن عاشِقٍ أنوك * سَفِيهِ الإشارةِ والمنـــزْع
يرُومُ الوِصَال بما لو أتَي * يرُومُ بهِ الصَّفعُ لمْ يصْفَعِ
برأسِ فقِــيرٍ إلى كَيَّـــةٍ * ووجْهٍ فَقِــيرٍ إلى بـــرقعِ

---

[1] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص 227.

[2] المرجه نفسه، ص : 114.

* كلمة بذيئة اضطرينا لحذفها.

[3] سعيد بوفلاقة، الشعر النّسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 200.

إن هجاء ولادة وبنات عصرها يمتاز بالخلاعة والفحش ويبدو ذلك جليا من خلال المعاني التي تناولتها، فهي خالية من الحشمة والحياء وكذا العفة وهي عناصر ملتحمة تقوم على أساسها أنوثة المرأة. كما أن طبيعة المرأة الرقة واللين في القول وهو ما يناقض معاني شعرها في غرض الهجاء، وهو ما يجعلنا بدورنا نقول أن هذه الحالة هي خروج عن المألوف.

وإذا ما قورن الشعر النّسوي في غرض الهجاء مع الشعر الرجالي في نفس الغرض فإننا نجد أن الشاعر يجد نفسه –رغم عفته– مسوقا إلى الإفحاش حين يهجو سواء استعمل الألفاظ البذيئة أو استغنى عنها بحكم أنه أقل حشمة وحياء من المرأة –في القول– وبالتالي فإن جريان الفحش في القول على لسان الرجل يكون أكثر من جريانه على لسان المرأة وهذا ما لا تؤكده لنا دراستنا هذه، حيث نجد أن معاني شعر الهجاء لدى المرأة الشاعرة كان أفحش وأعنف من شعر الرجل الشاعر على الرغم من الفروقات الطبيعية بينهما.

يقول الأعمى المخزومي حين هاجمته وأثارته "نزهون القلاعية الغرناطية" فردّ عليها بهذين البيتين[1] :

ألاَ قُلْ لنَــزْهُونَة مَا لَهَا * تَجُرُّ من التِيهِ أذْيالهــَا
ولو أبصرتْ فِيشَةَ شَمَّرَتْ * كما عَوَّدَتني– سِرْبَالهَا

لقد استعمل الشاعر ألفاظ سوقية فجاء تعبيره قبيحا، لكن مع ذلك فإننا لا نستغرب لأن هذا لم يكن جديدا علينا على خلاف ما رأيناه عند الشاعرات.

---

[1] المرجع السابق، ص : 119.

من خلال ما سبق يمكن أن نقول عن غرض الهجاء ما يأتي :

1 –هجاء الشاعرات يندرج ضمن الهجاء الشخصي الذي يكون بين فردين ويتجاوز هذا إلى هجاء قبلي أو جماعة معينة.

2 –هجاؤهن أفحش من شعر الرجال، ففي معانيه فحش وذكر للسوءات.

3 –أسلوبهن في هذا الغرض ركيك سوقي، ولغتهم قريبة من لغة العامة.

4 –معظم الهجّاءات كن من الحرائر على عكس المتوقع، أي أن تكون الجواري أسرع إليه لانحطاط المستوى الاجتماعي وكثرت الاختلاط بالرجال في مجالس اللّهو والغناء.

5 –شعرهن عبارة عن مقطوعات في هذا الغرض مثل شعر الصعاليك في المشرق.

6 –يمكن أن نرد أسباب تورط الشاعرات في مثل هذا النوع من الهجاء، إلى ضعف الوازع الديني والانحلال الأخلاقي في مجتمع الأندلس.

III–2–3– أغراض أخرى

من الأغراض التي طرقتها ولادة كما سبق وأن ذكرنا الغزل أولا، والهجاء ثانيا، أما الأغراض الأخرى فهي قليلة إن لم نقل أنها نادرة.

فالفخر مثلا لم نعثر إلا على قطعة واحدة لها، حين تفخر بشبابها وتقول بأنها تصلح للمعالي، وتمشي مشيتها وتتيه تيها فتقول[1] :

أنا واللهِ أصلُحُ للمَعَالِي * وأَمْشِي مِشْيَتِي وأَتِيهُ تِيهًا

كما نجد من الأشعار القليلة لبنات زمانها هذه المقطوعة لصفية بنت عبد الله الربّي تعاتب فيها امرأة عابت خطها، وتفخر بخطها الجميل فتقول[2] :

وعَائبةٍ خَطِّي فقلتُ لها اقْصِري * فسوف أريكِ الدُّرَ في نَظْمِ أسْطُرِي
وناديتُ كَفِّي كي تجودَ بِخَطِهَا * وقربتُ أقلامِي ورَقِي ومِحْبَرِي
فخَطَّت بأبياتٍ ثلاثٍ نَظَمْتُهَا * لِيبدو بهَا خَطِّي وقلت لها انْظُرِي

أمّا المدح فإنّنا لا نجد لولادة أية مقطوعة شعرية ولعل السبب في ذلك هو أن غرض المدح غالبا ما يقتصر على الشعراء الذين ينشؤون في الطبقة الوسطى أو العامة، لأنه موجه معظمه إلى الأمراء وذوي النفوذ ليحصلوا منهم على الجزاء والمغانم الذاتية، لهذا نادرا ما نجد شاعرا من الأغنياء يقول في المدح.

وعلى هذا الأساس فإن ولادة لا نجدها حاضرة في هذا النوع على اعتبارها من البيت الملكي أي من طبقة الأغنياء، وأن أغلب اللائي نظمن في غرض المدح هن من سوقة الشعب ودهمائه، أو ممن نشأن في الطبقة الوسطى ونذكر من هؤلاء : مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري وحفصة بنت حمدونة الحجازية، وحسانة التيمية التي توفي

---

[1] المقري، مرجع سابق ، ج5، ص : 340.

[2] سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، مرجع سابق، ص : 203.

أبوها وتركها في رعاية القدر فالتجأت إلى الأمير الحكم بن هشام تبثه شكواها وتمدحه قائلة[1] :

إنّي إليــك أبَا العاصي مُوَجَّعة * أبا المخْشِي، سقتهُ الواكفُ الدِّيَمُ
قد كنتُ أرتـــعُ في نعماه عاكفةً * فاليومَ آوِي إلى نُعْمَاكَ يَا حَكَمُ
أنت الإمامُ الذي انقادَ الأنامُ لهُ * وملّكتْهُ مقاليدَ النُّهَـــى الأمـــم
لا شيء أخْشى إذا ما كُنْت لِي كنفًا * آوي إليه ولا يعـــروني العَـــدَمُ

وبعد أن ألقت هذه الأبيات دفع لها الأمير ثمن مدحها له وأمد لها براتب وأوصى بها عامل ايبيرية خيرا.

أما الوصف فهو من أهم الموضوعات التي برع فيها الأندلسيون وأظهروا فيها تفوقا ملحوظا على المشارقة، وساعده على ذلك طبيعتهم الجميلة. غير أننا لا نجد لولادة أية مقطوعة شعرية في وصف الطبيعة، بل إننا نجد شاعرات أخريات من بنات عصرها نظمن بعض المقطوعات الشعرية والتي تعتبر من عيون شعرهن، فها هي حمدونة بنت زياد المؤدب تصف لنا واديها فتقول[2] :

وقَانَا لفحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ * سقاهُ مضَاعَفُ الغيثِ العَمِيم
حللنَا دَوْحَهُ فَحَنَا عَــلَيْنَا * حُنُوَّ المُرْضِعَاتِ عَلى الفَطِيمِ
وارشَفَنَا على ظماٍ زُلالاً * ألَــذ من المــدَامة للَـــنديم
يصدُ الشمسَ أى واجهتْنا * فيحجبُها ويــأذنُ للنَـــســيم

---

[1] المرجع السابق، ص : 195.

[2] المرجع السابق، ص : 127.

يروعُ حَصاهُ حالية العَذارَى * فتلمس جانب العِقدِ النّظِيم

فهذا الوصف البارع للشاعرة حمدونة يجعلها في مصاف أكبر الوصافين الأندلسيين فضلا عن شاعرات أخريات أمثال : أم العلاء بنت يوسف الحجازية وغيرهن.

أما الرثاء فإنه لدى شواعر الأندلسيين يكاد يكون مفقودا، سواء عند ولادة أو عند غيرها، في حين أننا إذا عدنا إلى الشعر النسوي المشرقي -كما قلنا سابقا- وجدنا أكثره في غرض الرثاء على نحو رثاء الخنساء وليلى الأخيلية وغيرهما.

ولعل ندرة غرض الرثاء في أشعار الأندلسيات يعود للظروف الإقليمية والاجتماعية، حيث انشغلن بحياة اللهو والترف وفتنة الطبيعة الجميلة مما جعلتهن مستسلمات للحياة الرضية الحلوة، لهذا لم يحفلن بالرثاء الذي يذكرهن بالموت. كما أن سبب اختفاء هذا الغرض من شعرهن هو عدم وفائهن لأحبائهن فولادة مثلا بعد وفاة حبيبها ابن زيدون لم نعرف لها رثاء عنه بعد وفاته[1].

وفي هذا المقام يجدر بنا الإشارة إلى الفرق الجوهري للشعر النّسوي والشعر الرجالي في الأندلس وهو أن الشعر الرجالي كان متداخلا حيث أن الشاعر مثلا كان يخلط في قصيدته بين غرضي المدح والغزل أو بين غرضي الفخر والهجاء ... وهكذا.

في حين أن الشعر النسوي على خلاف ذلك، فلم يكن متداخل مثل ما هو معروف عند الشعراء، والسبب في ذلك هو أن أغلب شعرهن عبارة عن مقطوعات

---

[1] المرجع السابق، ص 250.

وأبيات ولم يعرف عنهن إلا بعض القصائد، ولذلك كن يدخلن في الموضوع مباشرة دون مقدمات. كما أن المرأة معروفة بقصر نفسها في الشعر منذ القدم ونادرا ما نجد لها قصائد مطولة.

خاتمة الفصل الثاني :

وخلاصة القول أن ولادة وما قيل عنها وعن شخصيتها متناقض في أغلبه خاصة أثناء التعرض لدراسة شعرها إلى درجة أنه يبدو جليا في أغلب الأحيان أن شعرها أحسن من شخصيتها.

وعلى العموم فقد نظمت ولادة في أغراض محدودة تمحورت في غرضين هامين هما : "الغزل والهجاء" لكن على قلتها إلا أنها استطاعت أن تثبت تميزها وجدارتها في عالم الشعر النّسوي في عصر ملوك الطوائف. فغزلها غالبا ما ارتبط بابن زيدون وأسلوبها سهل بسيط على إباحيته، أما هجاؤها فقد اتسم بالفحش والبذاءة والإقذاء والسباب، وبأسلوب ركيك، ولغة قريبة من العامية لهذا فقد كان أشد وقعا على نفوس المهجوين.

وفضلا عن هذا فقد جاءت معظم أشعارها عبارة عن مقطوعات لا تتجاوز الخمسة أبيات، وهي السمة نفسها التي امتازت بها أشعار بنات زمانها ما عدا بعض القصائد النادرة.

وهنا يمكننا القول أن ولادة وحتى بنات عصرها كان لهن الجرأة والتفوق في نظم الشعر وفي مواضيع كانت حكرا على الرجال فقط، والذي يعود إلى الحرية المفرطة التي حظيت بها المرأة في عصر ملوك الطوائف وكذا ضعف الوازع الديني، وقلة ضوابط الجد في المجتمع.

خاتمة

IV- خاتمــة

في ختام بحثنا هذا ومن خلال دراستنا لشعر ولادة بنت المستكفي يمكن أن نقول أن المرأة عامة استطاعت أن تفرض وجودها في الساحة الأدبية والشعرية بخاصة، فقد برزت في عصور الأدب وأجادت في قول الشعر بدء بالعصر الجاهلي مرورا بالعصر الإسلامي والأموي وحتى العباسي، كما نجد في مقابل ذلك المرأة الأندلسية هي الأخرى أجادت في قول الشعر، غير أن عصر ملوك الطوائف برزت فيه المرأة الشاعرة بشكل ملفت للانتباه، ويبدو ذلك من خلال السمات التي ميزت شعرها، وهذا ما يبدو جليا وواضحا في شعر ولادة وبنات عصره والذي يمكن أن نلخصه فيما يلي :

* على الرغم من وجود سمات مميزة لشعر المرأة الأندلسية في هذا العصر إلا أننا لا ننكر أن هناك مظاهر التقليد في شعر بعض الشاعرات اللائي سبقن عصر ولادة، خاصة إذا علمنا أن أول شاعرة في الأندلس هي العجفاء وهي جارية وافدة من الأندلس وكيف لها أن تنسلخ من جلدتها.

* بدت السمات المميزة لشعر المرأة الأندلسية في غرضي الغزل والهجاء. ففي غرض الغزل كسرن الحجاب الذي كان مفروضا عليهن فنظمن في اتجاه المجون الذي عهدناه عند الرجال فقط، ويعود ذلك إلى حياة اللهو والطرب التي كانت سائدة في ذلك العصر، بالإضافة إلى الحرية التي تمتعت بها والتي يبدو بأنها مفرطة، ومع ذلك جاء شعرهن بسيطاً سلساً لا غموض فيه.

أما في غرض الهجاء فجاء هجاؤهن بذيئاً لا حشمة ولا حياء فيه، فأسلوبهن سوقي لا يرقى إلى مستوى بعض الشاعرات، خاصة إذا عرفنا أن بعض الشاعرات من بنات

ملوك الأندلس، مثل ولادة بنت المستكفي، ووقوع المرأة في مثل هذا الإفحاش الذي يبدو في بعض الأحيان أفحش من شعر الرجال، وهذا يدل على ضعف الوازع الديني آنذاك.

* لم نجد لولادة وحتى لبنات عصرها شعرا في غرض الرثاء، وهذا لأنهن انشغلن باللهو والمرح ولم يجدن من يذكرهن بالموت، فلم ينظمن في هذا الغرض، وهذا عكس ما نجده في شعر المرأة المشرقية، التي عرفت بتفوقها في غرض الرثاء خاصة في العصر الجاهلي.

* على الرغم من نظم الشاعرات الأندلسيات في أغراض شعرية لم نعهدها عند المرأة إلا أن شعرهن جاء عبارة عن مقطوعات، ولم نجد ولا قصيدة لولادة وحتى بنات عصرها إلا نادرا، وربما يعود ذلك إلى قصر نفس المرأة أو لأنها تدخل في الموضوع مباشرة على خلاف الرجال فنجد تمهيدات في شعرهم قبل الدخول في الموضوع، وهو فرق بين شعر المرأة وشعر الرجل.

* من خلال تصحفنا لكتب الأدب الأندلسي وجدناها حافلة بأسماء كثيرة لشاعرات أبدعن في أغراض مختلفة عبر عصور الأدب على غرار ولادة بنت المستكفي لذا فمجال البحث يبقى مفتوح لمن أراد إحياء شعرهن ودراسته واستخراج أهم ملامحه.

* إن تسمية نتاج المرأة بمصطلح الأدب النسوي يبقى بين مؤيد ومعارض، وهذا يتطلب منا البحث والغوص في هذه الإشكالية.

* يمكن أن نقول في الأخير أن دراستنا هذه تبقى مجرد محاولة قابلة للنقد في ظل تواجد وتوافر مراجع جديدة.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع :

المصادر :

1- يوسف فرحات، ديوان ابن زيدون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991، ط1.

المراجع :

1 -أحمد بن محمد المقرّي التلمساني، نفح الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت)، ط 1، ج 5، 6.

2 -سعيد بوفلاقة، الشعر النسوي الأندلسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1995، (ب.ط).

3 -سعيد بوفلاقة، ولادة بنت المستكفي، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، (د ط).

4 -عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ط 2.

5 -عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شاعرات العرب، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2001، (د ط)، ج 1.

6 -عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، كلية الآداب، 1978، ط 3.

7 -عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت (د،ت)، (د،ط)، ج4.

8 -محمد بدر معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، مكتبة الآداب، مصر، (د.ت)، (د.ط).

9 –مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ط4.

10 – محمد مصطفى أبو شوارب، أبحاث مؤتمر التراث الأندلسي، الشخصية والأثر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر (د، ت)، (د، ط).

11 – مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت)، (د.ط)، ج3.

12 – مي يوسف خليفة، الشعر النسائي في أدبنا القديم، مكتبة غريب، كلية الآداب، جامعة القاهرة، (د.ت)، (د.ط).

13 – نجم الدين أحمد بن إسماعيل، جوهر الكنز، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (ب ت)، (ب ط).

المذكرات :

14 – نبيلة عبد الشكور، إسهام المرأة في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن 16 إلى نهاية التاسع للهجرة، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2007، 2008، ج1.

مواقع الإنترنيت :

- أمينة عباس : بعضهن يرفض الأدب النسائي، http://www.diwanalarab.com/spid.php?article3816
- ثائر العذارى، ملخص لبحث أكاديمي حول مفهوم الأدب النسوي http://www.alnoor.se/article.asp?ID:8772
- سها قديسة، ترجمة بثينة الناصري، الأدب الأندلسي من القرن التاسع "إلى القرن الخامس عشر : http://sjoseph.ucdavis.Edu/ewic/v1arabicparted/andalujia.PDF

الفهـــرس

الفهرس العام

I- مقدمة

II- الفصل الأول : المرأة العربية وإبداعها الشعري

تمهيد 11

II-1- الشعر النسوي 12

II-1-1- مفهوم الأدب النسوي 12

II-1-2- بين شعر الرجال وشعر النساء 15

II-1-3- ثنائية قلة وكثرة الشاعرات 16

II-2- المرأة العربية وشعرها عبر العصور 20

II-2-1- المرأة المشرقية وشعرها عبر العصور 20

أ- العصر الجاهلي 20

ب- صدر الإسلام والعصر الأموي 22

ج- العصر العباسي 27

II-2-2- المرأة الأندلسية وشعرها عبر العصور 28

أ- في العصر الأموي (138هـ-422 هـ/755 م - 1030 م) 32

ب- في عصر ملوك الطوائف (422 هـ- 493 هـ/1030م - 1099م) 34

جـ- في العصر الموحدي والمرابطي 36

II-2-3- شعرها بين المحافظة والتجديد 39

خاتمة الفصل الأول 41

III- الفصل الثاني : الإبداع الشعري عند ولادة بنت المستكفي

تمهيد 43
III-1- عصر ولادة وحياتها 44
III-1-1- عصر ولادة 44
III-1-2- نسبها وحياتها 46
III-1-3- صفاتها وأخلاقها 48
III-2- فنونها الشعرية 52
III-2-1- الغزل 53
III-2-2- الهجاء 60
III-2-3- أغراض أخرى 64
خاتمة الفصل الثاني 69
IV- خاتمة 71
قائمة المصادر والمراجع 74
الفهرس 77